
العشرة المبشرون
بالجنة
أبو بكر الصديق
عمر بن الخطاب
عثمان بن عفان
على بن أبى طالب
طلحة بن عبيد الله
الزبير بن العوام
عبد الرحمن بن عوف
سعد بن أبى وقاص
سعيد بن زيد
أبو عبيدة بن الجراح
عمرو يوسف



عمرو يوسف

مكتبة
معروف إخوان

اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

الغلاف بريشة :
إيهاب التركى

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وخير العالمين سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد فمن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجاهدوا فى الله حق جهاده وضحوا فى سبيله بأموالهم وأنفسهم وجعلوا الله ورسوله أحب الى قلوبهم من كل شىء سواهما - ولم يكن لهم من رجاء فى هذه الدنيا سوى العمل على طاعة الله ورسوله وكانوا من السابقين فى الخير والذين يقول عنهم الله تعالى :

(والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنة النعيم) ١٢ - الواقعة

انهم الذين بشرهم الله ورسوله بالجنة جزاء وفاقا بما كانوا يفعلون .

ومع العشرة المبشرين بالجنة نخوض تلك الرحلة الايمانية المباركة .

فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد أبن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة)

رواه الترمذى

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال :

(دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل عائشة رضى الله عنها فقال:

يا عائشة ألا آبشرك ؟

قالت : بلى يا رسول الله

قال : أبوك فى الجنة ورفيقه ابراهيم

وعمر فى الجنة ورفيقه نوح

وعثمان فى الجنة ، ورفيقه أنا

وعلى فى الجنة ورفيقه يحيى بن زكريا

وطلحة فى الجنة ورفيقه داود

والزبير فى الجنة ورفيقه إسماعيل

وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، ورفيقه سليمان

وسعيد بن زيد فى الجنة ورفيقه موسى بن عمران

وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ورفيقه عيسى بن مريم

وأبو عبيدة عامر بن الجراح فى الجنة ورفيقه إدريس عليه السلام)

***

ويعد كل منهم نموذجا رائعا للجهاد والبذل والعطاء ، ومثلا يحتذى به فى سلوكنا وفى كل أعمالنا (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الانعام ۹۰)

انهم كالنجوم المضيئة فى سمائنا وعلينا أن نقتدى بهم ونحذو حذوهم ونتأمل فى سيرتهم ، فكل منهم يعد مدرسة من مدارس الايمان والتقوى ، وربما غلبت على أحدهم إحدى الصفات أو المزايا ، ولكن هذا لا يعنى عدم وجود غيرها من المزايا والفضائل .

ويذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من تلك المزايا حيث يقول :

(أرحم أمتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب ، ولكل نبى حوارى ، وحوارى طلحه والزبير ، وحيثما

كان سعد أبن أبى وقاص كان الحق معه ، وسعيد بن زيد من أحياء الرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن ، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله)

وكما ذكرنا فإن الصفة الغالية لأحدهم لا تعنى عدم وجود غيرها من الصفات فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين والمشهور برقة قلبه ورحمته وحلمه يصبح أشد الناس فى دين الله وأكثرهم قوة وبطشا بأعداء الدين الذين ارتدوا عن الاسلام وعادوا الى عبادة الأوثان فقاتلهم بضراوه وتصدى لهم بحزم حتى أعادهم الى الاسلام بل أنه رضى الله عنه أمر بقتال الدين امتنعوا عن أداة الزكاة واعتبرهم مرتدين رغم معارضة بعض الصحابة له فى ذلك ، وهكذا تتجلى الحكمة ورجاجة العقل وصواب الرأى فى شخصية الصديق رضى الله عنه ، فلم تكن رقه قلبة وسهولة طبعه لتمنعه من البطش بأعداء الله والضرب على أيديهم بكل قوة .

وعلى العكس من ذلك تماما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهيراً بقوته وحدته وفى البداية خشى المسلمون من شدته وحدته ، ولكنه ضرب أروع الامثلة فى الرحمة بالمسلمين والسهر على حاجاتهم وقضاء مصالحهم ورفع الظلم عنهم .ومن بينهم الفرسان الذين لا يشق لهم غبار مثل على بن أبى طالب اللذى لم يهزم قط فى أى نزال وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح .

ومنهم من ضرب أعظم الامثلة فى بذل أمواله فى سبيل الله مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف .

وقد مروا بالعديد من التجارب والمحن الشديدة التى ثبتوا لها بفضل إيمانهم الراسخ وصدق عزمهم .

فقد وجد أمين الأمه أبو عبيدة بن الجراح نفسه وجها لوجه أمام أبيه المشرك فى غزوة بدر وراح الأب يسعى لقتل أبو عبيدة ، وكان كذلك اختبارا صعبا لقوة إيمان أبو

عبيدة وصراعا قويا بين عواطفه التى تحثه على الابقاء على حياة أبيه وبين أيمانه القوى الذى يقتضيه ان يضحى بكل شيء فى سبيل الله وكانت الغلبة لصوت الحق وصوت الايمان ..

وقتل أبو عبيدة أباه المشرك .

ان العشرة المبشرين بالجنة يعدون أمثلة رائعة للتقوى والعمل الصالح والجهاد المخلص في سبيل الله ، وقد أفردنا لكل منهم فصلا مستقلا ، وتحاشينا أن يكون حديثنا مجرد سرد تاريخى لحياتهم ، وحاولنا جهدنا إبراز كل نواحى القدوة فى حياتهم والأعمال الجليلة التى خلدت ذكر كل منهم ، كما ابتعدنا عن مواطن الخلاف والجدل وأخذنا بالروايات الموثوق بها فقط .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع فى ميزان حسناتنا يوم القيامة وأن يهدينا الى صراطه المستقيم .

عمرو يوسف

الفصل الأول
أبو بكر الصديق

وهو أكثر من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاد عنه بماله وجعل روحه فداء له كان له الشرف العظيم بالسبق الى الاسلام حيث كان أول الرجال اسلاما واكثرهم إيمانا وشهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

" لو وزن إيمان ابى بكر بإيمان الامة لرجح أيمان أبى بكر "

(رواه البيهقى)

ويشير القرآن الكريم الى صدق ايمانه وتقواه وانفاقه فى سبيل الله كما ورد فى سورة الليل " فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى " (الليل ٥/٧)

"و سيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ومالأحد عنده من نعمه تجزى إلا إبتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى " (الليل ١٧/ ٢١)

وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيق رحلته المباركة فى الهجرة من مكة الى المدينة حيث فتح الله تعالى على المسلمين وتأسست نواة الدولة الاسلامية الكبرى ، ويصور لنا القرآن الكريم بثبات ابى بكر ومواساته لرسول الله وايمانه الحق بالله تعالى :

" إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " (سورة التوبة الاية ٤٠)

وغيرها الكثير من الايات المباركة والأحاديث النبوية الشريفة التى تشهد بصدق إيمان هذا الرجل والمنزله الكريمة التى بلغها عند الله ورسوله بحسن إسلامه وصدق ايمانه وجهاده فى سبيل الله ونصحه للمسلمين وأخلاصه لهم .

نسبه وصفاته :

هو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة "

يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى جده " تيم بن مرة "

وأمه : أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة "

وهى بنت عم أبيه

وقد من الله عليها بنعمة الاسلام ، فاسلمت فى دارالارقم وماتت على الاسلام ، وقيل أن اسمه قبل الاسلام كان عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبى صلى الله عليه وسلم " عبد الله " وقيل أيضا انه كان يسمى " عتيق " لجمال وجهه ، وان أمه أطلقت عليه هذا الاسم لانها كانت لا يعيش لها ولد .

أما لقبه الصديق الذى عرف عنه وأشتهر به فقد اختلف كذلك فى أصله فيقول البعض " ان هذا اللقب قد أطلق عليه فى الجاهلية

ويقول البعض الاخر (وهذا هو الارجح) ان لقب الصديق قد أطلق عليه لتصديقه النبى صلى الله عليه وسلم فى خبرالإسراء .

ويذكر المعاصرون لأبى بكر صفاته بأنه كان أبيض البشرة بياضا تخالطه الصفره حسن القامة عتيقا (أى مليح الوجه) نحيفا رقيق الجسم أقنى الأنف معروق الوجه (أى خفيف اللحم فيه) ، غائر العينين ناتىء الجبهة أحدب الظهر قليلا

وهذه صفاته الجسدية والشكلية أما صفاته ومميزاته الخلقية فهى أعظم وأكبر من ان نذكرها فى هذا الحيز المحدود لانه يعد واحدا من أعظم الرجال فى البشرية وأكثرهم تأثيرا فى سيرة التاريخ الاسلامى ، فهو شديد الكرم الى حد السخاء ، حسن الطباع ، سهل العشرة ، كريم الخصال ، رحيم القلب وأن خالطت رقته بعض الحدة والعصبية وهى بالطبع حدة العظيم الحليم الذى يثور للحق ويعمل على نصرته .

كما كان رضى الله عنه قليل الكلام محبا للصمت حتى يتجنب زلات اللسان

وسقط الكلام ، ويمكننا أن تستشف ذلك من خلال نصيحته لاحد عماله :

" اذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً "

" كان رضى الله عنه بعيد النظر قوى الملاحظة سديد الرأى عالما واسع العلم ويقال انه لم يشرب الخمر قط قبل اسلامه كما عرف عنه الصدق والامانة .

ولذلك فلم يكن غريبا ان يكون صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو المعروف فى قريش ب" الصادق الامين "

اسلامه وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان أول من اسلم من الرجال وسارع الى الدخول فى دين الله الحق دون تردد ، فقد سمع ما قيل فى قريش عن ترك محمد صلى الله عليه وسلم للألهة وتسفيه عقول قريش ، ولما كان صديقه القريب الى قلبه فقد بادر الى سؤاله عن مالقيه

" أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك ألهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" بلى انى رسول الله ونبيه بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك الى الله بالحق ، فوالله انه للحق أدعوك يا أبا بكر الى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة عى طاعته " ثم قرأ عليه القرأن .

فأسلم ابو بكر لساعته وأعلن كفره بالأصنام ، وليكون بذلك أول من أسلم من الرجال ولم يتردد لحظة واحدة لأن الحق قد عرف طريقه الى قلبه مباشرة وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

" ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا ابا بكر ماعكم (١)

---

(١) ماعكم : أى ما لبث

حين ذكرته ، ولا تردد فيه

ولذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما ما يذكر المسلمين بفضل أبى بكر رضى الله عنه وسبقه الى الاسلام يقول :

" ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ " (رواه البخارى)

وكما ذكرنا فقد كان ابو بكر رضي الله عنه محبوبا من قومه ، وبمجرد انه دخل فى الاسلام حتى راح يدعو قومه الى الاسلام فأسلم على يديه عدد كبير من المسلمين ومنهم عدد من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبشرون بالجنة الذين سنطالع سيرتهم على الصفحات التالية ويرجع لنجاح ابى بكر فى ذلك الى حسن خلقه وحب قومه له كما كان تاجرا عرف عنه الأمانة والاستقامة ، وممن أسلم على يدى أبى بكر :

الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وكان رضى الله عنه بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما منذ أن أشرق نور الاسلام ، فهو بجواره يذود عنه اذى قريش ويتحمل المشاق فى سبيل الله وقد كان بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الكبرى أول غزوات الرسول والتى سيتقرر بعدها مصير دولة المسلمين وبينما كان المسلمون يتأهبون لمواجهة عدوهم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه قائلا :

" اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض "

فتقدم منه إبو بكر رضى الله عنه وقال :

يا رسول الله هون على نفسك ان الله منجز لك وعده ولن يخزيك ابداً "

.ـديتنا من المواقف الخالدة فى حياة أبى بكر الصديق مالا يحصى وسنكتفى بذكر بعض منها

مواقف خالدة فى حياة أبي بكر :

كان رضى الله عنه عظيما راسخ الايمان وجاءت كل مواقفه تعبيراً عن تلك الحقيقة ، ومن تلك المواقف موقفه من حادثة الاسراء ، فقد جاءه الناس يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه من حديث الاسراء والمعراج ويقولون : هل سمعت ما قال صاحبك ؟

فيجيبهم دون تردد " والله لئن قد قاله فقد صدق ، انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون ويرجح معظم الرواة ان لقب " الصديق " قد أطلق عليه لموقفه فى هذا اليوم

وهذه قصة أخرى تدل على صدق إيمان ابى بكر وقوة عقيدته يرويها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقد روى البيهقى " ان رجالا فضلوا عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر فبلغ ذلك عمر فقال

والله لليلة من أبى بكر خير من ال عمر .. وليوم من أبى بكر خير من أل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة انطلق الى الغار ومعه ابو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا ابا بكر مالك ساعة تمشى خلفى وساعة بين يدى ؟

فقال : يا رسول الله ، أذكر الطلب فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك

فقال " يا ابا بكر لو كان شىء لأحببت أن يكون بك دونى ؟ "

قال نعم ، والذى بعثك بالحق .

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر :

مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار فدخل فأستبرأه . حتى اذا كان ذكر له

انه لم يستبرىء الحجرة ، فقال :

مكانك يارسول الله حتى استبرىء .. فدخل فاستبرأ ثم قال

انزل يا رسول الله .

ثم قال عمر : والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من أل عمر "

- أبو بكر يقضى على الفتنة :

وكان لرجاحة عقل أبى بكر وبعد نظره دور كبير فى وأد الفتنه فى مهدها وتوحيد كلمة المسلمين ويظهر ذلك بوضوح فى موقفه يوم الحديبية حيث خرج المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيارة بيت الله الحرام قبل أن يتم فتح مكه .. وقبل ان يدخلوها أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة تنفيذا لأمر ربه وحدثت بلبله شديدة ، وغضب كثير من المسلمين بينهم عمر بن الخطاب الذى قال للرسول الله صلى الله عليه وسلم

- ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ السنا المؤمنين وهم المشركون ؟ فلم نعطى الدنية فى ديننا ؟

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" هكذا أمرت "

فذهب عمر الى أبى بكر رضى الله عنه وقال له :

أليس قد وعدنا النبى صلى الله عليه وسلم بدخول مكة ؟

فيقول له أبو بكر :

أو قال لك هذا العام ؟ ويحك يا عمر استمسك بفرس هذا الرجل إنه لرسول الله حقاً

أعظم مواقف أبى بكر :

أما أعظم مواقف أبى بكر فهو موقفه يوم المحنة الكبرى التى ألمت بالمسلمين جميعا حينما فجعوا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يصدق معظم المسلمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات واستعصى على عقولهم فهم تلك الحقيقة وقال عمر بن الخطاب

- ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يموت حتى يفنى المنافقين ..

من قال ان محمدا قد مات ضربت عنقه !

وجاء ابو بكر وأمر عمر بأن يسكت ثم صعد المنبر وقرأ الاية :

(انك ميت وإنهم ميتون) [1]

ثم قرأ (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسجزى الله الشاكرين [2]

ثم قال " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت "

وهكذا نجح أبو بكر رضى الله عنه فى تهيئة النفوس لقبول حقيقة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الزمر الاية ٣٠

(٢) ال عمران الاية ١٤٤

حرب الردة :

تم أختيار ابى بكر الصديق رضى الله عنه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نظرا لسبقه الى الاسلام وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم دائما ويدل على ذلك حديث النبى صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صحبة وإخاء وأيمان حتى يجمع الله بيننا عنده " (رواه الشيخان)

ولذلك فقد كان رضى الله عنه شديد الحرص على تنفيذ كل رغبات الرسول صلى الله عليه وسلم والسير على مناهجة دون أدنى اختلاف ، وكان أول ما فعله بعد أن تولى أمر الخلافه هو أرسال جيش المسلمين الذى أعده الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم فى الشام بقيادة " اسامه بن زيد ورفض رضى الله عنه اقتراح بعض كبار الصحابة بتولية قائد أخر أكبر سنا من أسامه .

وقبل أن يغادر جيش المسلمين المدينة وقف ابو بكر رضى الله عنه ينصح جنوده ويوصيهم قائلا " لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا أمراة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ولا بقره ولا بعيراً الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع [(١)] فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له "

وتتوالى المحن على الرجل الحليم القوى الايمان من أول يوم تولى فيه الخلافه ، فقد سارع عدد كبير من المنافقين وضعفاء الايمان باعلان ارتدادهم عن الاسلام بمجرد ان علموا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم "

فادعى رجل يسمى مسليمه بن حبيب النبوة فى اليمامة ، كما راح رجل يسمى الاسود العنسى بعمل السحر فى اليمن وادعى النبوة وجمع حوله الأتباع وأخذ يهدد

(١) أى انقطعوا للعبادة

سلطان الدولة الاسلامية وعاد بعض العرب الى عبادة الاوثان . وامتنعت عدة قبائل عن اداء الزكاة

وهنا تظهر عظمة شخصية أبى بكر وقوته فى الحق ، فالموقف شديد الخطورة بل انه أخطر موقف تتعرض له الدوله الاسلامية الفتيه واذا لم يعالجه بحكمه وقوة وحزم لتهدمت أركان الدولة من الداخل قبل ان ينقض عليها أعداؤها المتربصون بها من كل جانب فجمع ابو بكر الجيوش وسارع بإرسالها الى مواطن الفتن ودارت عشرات المعارك الطاحنة بين جنود الخليفة والمرتدين عن الاسلام .. ولكن النصر دائما كان فى جانب المسلمين المخلصين وتم القضاء على الفتنه فى كل أنحاء الدولة الاسلامية وكان ذلك نصر مؤزرا للخليفة أبى بكر الصديق فتح الله به عليه حيث عارضه فى البدايه عدد كبير من المسلمين وطلبوا منه ان يقاتل المرتدين عن الاسلام فقط ولاداعى لقتال مانعى الزكاة ماداموا ثابتين على الاسلام فرفض بشدة وأصر على قتالهم باعتبارهم مرتدين عن الاسلام وكان رضى الله عنه يؤكد على قواد جيوشه ضروره دعوة الناس الى الاسلام باللين أولا قبل ان يقاتلوهم وهكذا تجلت سماحته ورقة قلبه الى جانب قوته وشدته وحزمه . وما كان لرجل أخر سوى أبى بكر الصديق أن يتغلب على تلك المحنة القاسية ويجتازها بنجاح ويخرج منها قويا منتصرا ويدعم أركان الدولة الاسلامية ويوحد صفوفها فى وجه أعدائها ولولا انتصاره فى تلك المعارك لما تمت الفتوحات الكبيرة التى حدثت فى عهده وعهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فضائل الصديق ومآثره :

جاهد ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى سبيل الله حق الجهاد بنفسه وماله وضحى بالكثير ابتغاء مرضاه الله تعالى ، فلم تكن بشارته بالجنه الا ثمرة لعمله واخلاصه لله ولرسوله وها هى الاحاديث النبوية الشريفة تبين لنا منزلة الصديق رضى الله عنه

وجهاده المخلص فى سبيل الله ، فقد كان تاجرا غنيا ولكنه أخذ ينفق كل ما يملك فى سبيل الله ورسوله فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم .

" ما أبقيت لولدك من مالك ؟"

فقال :

" ابقيت يا أخى ، لهم الله ورسوله " (رواه أبو نعيم فى الحلية)

ولقد بلغ رضى الله عنه أسمى درجات الايمان وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه ، فقد حدث أن ضربه عتبة بن ربيعه هو وبعض كفار قريش حتى أغمى عليه وعندما أفاق قال (ما فعل رسول الله صلى الله علسه وسلم ؟)

فيقولون : بخير

فيقول :والله لاذقت طعاما ولا شرابا حتى أري رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يطمئن قلبه حتى يذهب الى الرسول صلى الله عايه وسلم فى دار الارقم ابن ابى الارقم لقد بلغ ايمانه درجة عظيمة لم يبلغها أحد مثله كما شهد بذلك خير خلق الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

" لو وزن ايمان أبى بكر بإيمان الامة لرجح أيمان أبى بكر

انه ايمان بلا حدود وحب خالص لله ورسوله :

وضع أبو بكر ماله فداء للدعوة الاسلامية وقد سارع الى شراء سبعة من المسلمين ليخلصهم من العبودية ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ما نفعنى مال أحد ما نفعنى مال أبى بكر " (رواه ابن ماجه والترمذى)

فكان رضى الله عنه هو أول محرر للعبيد فى الاسلام .

وقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنه فى كثير من الاحاديث فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر : أنا قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر أنا " فقال فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة) (رواه مسلم)

وورد عن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر :

" انت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار "

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أتانى جبريل عليه السلام فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة التى تدخل منها أمتى فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت لو أنى كنت معك حتى أنظر اليه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى) (رواه أبو داود)

وهو أول العشرة المبشرين بالجنة

- ومما يروى عن يقظة ضميره وشدة خشية الله تعالى انه كان له مملوك اتاه ليلة بطعام فتناول امنه لقمه

قال المملوك : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟

قال : حملنى على ذلك الجوع .. من أين جئت بهذا الطعام ؟ فأنباه المملوك انه مر بقوم كان يرقى لهم فى الجاهلية فوعدوه ، فلما أن كان ذلك اليوم مر بهم فإذا عرس لهم فأعطوه ذلك الطعام .

قال الصديق : ان كدت لتهلكنى ، وأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ وجعلت اللقمه لا تخرج ، فقيل له إن هذه لا تخرج الا بالماء ..

فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها

فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل لقمة ؟

فقال : لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها (رواه أبو نعيم فى الحلية)

أقوال مأثورة للصديق رضى الله عنه :

عرف عن الصديق رضى الله عنه انه كان قليل الكلام يميل الى الايجاز مع حسن التعبير والبلاغة وروعة البيان ..

ومن هذه الاقوال ما قاله للنبى صلى الله عليه وسلم عندما ذهب يعزيه فى وفاه ابنه ابراهيم وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحزن- قال ابو بكر :

" عوضك الله عنه يا رسول الله ما عوضه عنك "

كما يذكر لنا التاريخ كلمته الخالده فى أعقاب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكار الكثيرين لموته :

" من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت "

ويبدو واضحا ما فى العبارة من جمال وايجاز وبلاغة فقد استطاع ان ينبه عقول المسلمين الى حقيقـة هامة وهى ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو بشر مثلهم وقد نطق اسمه " محمداً " دون النبى أو الرسول حتى يوضح لهم تلك الحقيقة ، وبالتالى فإنه حق عليه أن يموت مثلهم تماما

وكذلك قوله للمسلمين يوم بايعوه بالخلافة :

- لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن احسنت فاعينونى وأن أسأت فقومونى .

- وهذه مجموعة من الحكم المأثورة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

" صنائع المعروف تقى مصارع السوء "

" إذا فاتك الخير فادركه وإن ادركك فاسبقه "

" ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر "

" احرص على الموت توهب لك الحياة "

" كثير القول ينسى بعضه بعضا وإنما لك ما وعى عنك "

" أصلح نفسك يصلح لك الناس "

أعماله العظيمة :

رغم قصر فترة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه والتى بلغت سنتين وثلاثة أشهر وبضعة أيام الا انه قام بأعمال عظيمة ساهمت فى أعلاء راية الاسلام والتوحيد وتثبيت دعائم الدولة الاسلامية ، ومن هذه الاعمال قضاؤه على المرتدين فى كل أنحاء الدولة الاسلامية وفتح العراق والشام وموافقته على جمع القرأن الكريم بناء على مشورة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قتل فى موقعة اليمامة عدد كبير من حفاظ القرأن الكريم وخشى ان يضيع القرآن بضياع الحفاظ ، وتردد ابو بكر قليلا فى جمع القرأن لخشية الاقدام على عمل لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل عمر رضى الله عنه يحاول اقناعه حتى رضى بعد أن شرح الله صدره لهذا العمل وتم تكليف زيد بن ثابت بنسخ المصحف وبعد أن انتهى منه تم حفظه عند أبى بكر ثم نقل الى عمر بعد وفاة أبى بكر ثم أصبح عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر .

وهكذا تم حفظ القرأن الكريم من الضياع أو التبديل .

وفاة ابى بكر الصديق رضى الله عنه :

توفى رضى الله عنه فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من جمادى الآخرى سنه ثلاث

عشرة من الهجرة ، وكان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة مثل الرسول صلى الله عليه وسلم تماما ويروى انه قد أصيب بالحمى بعد أن اغتسل فى يوم بارد وظل مريضا خمسة عشر يوما لا يخرج الى الصلاة وجعل عمر بن الخطاب يصلى بالناس

وعندما شعر باقتراب أجله أوصى باستخلاف عمر بن الخطاب من بعده وقد جاء فى وصية أبى بكر لعمر ما يلى :

(انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، أن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، فأنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا

وأنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق الميزان لا بوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا

إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، فاذا ذكرتهم قلت :

إنى لأرجو الا أكون من هؤلاء

وذكر أيه الرحمة مع أيه العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده الى التهلكه

فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو أتيك وأن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض اليك مس الموت ولست بمعجز الله)

رحم الله ابا بكر الصديق ورضى عنه وأرضاه

***

الفصل الثانى
عمر بن الخطاب

ويأتى الان الدور فى الحديث عن ثانى المبشرين بالجنة صاحب الشخصية الفذة التى كانت وستظل مصباحا مضيئا للبشرية الى يوم تقوم الساعة ، انه عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى لقيه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاروق لانه فرق بين الحق والباطل ، وكان اسلامه فتحا على المسلمين ، فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم ربه ان يعز الاسلام بأحد العمرين ، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (ابا جهل) فاستجاب له الله تعالى وشرح قلب عمر بن الخطاب فى لحظة عجيبة تحول فيها من العداء للاسلام الى الايمان به والجهاد فى سبيله ، وتحار العقول فى فهم هذا التحول العجيب الذى طرأ على شخصية عمر بن الخطاب ، فقد كان فظا غليظا جاف الطبع قبل اسلامه ثم أصبح بعد اسلامه أكثر المسلمين رحمة وأرقهم قلبا وأوسعهم علما وأعظمهم عدلا وأشدهم تقوى لله ..

ويصبح الامر أكثر وضوحا حينما نعلم مدى ذكاء عمر ورجاجة عقلة وسلامه طويته ، فقد كان يبحث عن الحق فهداه اليه الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه "

ونجد أنفسنا فى حيرة بالغة .. فبأى نواحى العظمة فى شخصيته نبدأ حديثنا ؟ وكيف يمكننا أن نوفيه حقه من خلال تلك الصفحات القليلة ؟

اننا امام شخصية فريدة فى التاريخ ويكفى للدلالة على عظمة شخصية عمر وقوة ايمانه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب عمر :

" يا بن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الاسلك فجأ غير فجك " رواه البخارى ومسلم

وهذا حديث أخر عن خير الانام يصور لنا قوة ايمان عمر والذى يبلغ درجة لم يصل اليها احد " انى لانظر الى شياطين الانس والجن لقد فروا من عمر " رواه الترمذى"

ولذلك فقد كان رضى الله عنه قريبا من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذه وزيره الثانى بعد أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من نبى الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكا ئيل وأما وزيراى من أهل الارض فأبو بكر وعمر "

ولنبدأ رحلتنا من بدايتها

***

نسبه وصفاته

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى

يلتقى نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده كعب بن لؤى

وأمه هى ختمة بنت هاشم بن المغيرة بن عمر بن مخزوم

وقد عرف باسم عمر فى الجاهلية وفى الاسلام

وقد كناه النبى صلى الله عليه وسلم ب " أبى حفص " فى يوم بدر

أما لقب الفاروق : فقد أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال عمر للرسول بعد أن اسلم

السنا على الحق يا رسول الله إن متنا وأن حيينا ؟

قال بلى

فقال عمر : ففيم الاختفاء ؟ الذى بعثك بالحق لنخرجن .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين :

حمزة فى أحدهما وعمر فى الاخر وله زفير حتى دخل المسجد ، فنظرت قريش الى عمر وحمزة وقد أصابتهم الكأبة ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ (الفاروق)

- وتوجد رواية أخرى : فيقال ان رجلا من المنافقين ويهوديا اختصما فقال اليهودى ننطلق الى محمد بن عبد الله

وقال المنافق : بل الى كعب بن الاشرف ، فأبى اليهودى وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى

فلما خرجا قال المنافق ننطلق الى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه ، فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيف فى يده ، فضرب عنق المنافق وقال هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء النبى صلى الله عليه وسلم

فنزل جبريل فقال : أن عمر فرق بين الحق والباطل ، فسمى (الفاروق)

ويصفه معاصروه بأنه أبيض مشرب بالحمرة طويل قوى الجسم خفيف العارضين وكان فارسا قويا بالغ القوة يجيد القراءة والكتابة ويحفظ الاشعار ، وقد تميز عن أقرانه بتعلمه القراءة والكتابة .

اسلامه :

عرف عمر فى الجاهلية بحدة الطبع والغلظة كما أجمع المؤرخون على انه كان كثير اللهو قبل الاسلام وكان كثيرا ما يؤذى المسلمين ويتربص بهم ولكنه كا يختلف عن غيره من أهل قريش فى حدة ذكائه ونفاذ بصيرته وتعجب كثيرا عندما رأى المسلمين يتحملون الاذى صابرين راضين دون أن يتحولوا عن دينهم بل أنهم هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم تاركين خلفهم الأهل والوطن والمال !

وبرغم أيذائه للمسلمين الا انه كان دائم التفكير فى الاسلام .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا ربه ان يهدى أحد العمرين الى الاسلام ، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام

وبعدها ذهب عمر بن الخطاب حاملا سيفه وهو يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتله وكان بعض أصحابه قد أخبروه أن محمداً يجتمع مع رهط من أصحابه فى دار الارقم وفيما هو فى طريقه لقيه نعيم بن عبد الله فقال له

– أين تريد ؟ قال : أريد محمداً ، هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أخلاقها وعاب دينها وسب ألهتها فأقتله .

قال نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ؟أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال عمر : وأى أهل بيتى ؟

قال ختنك [1] وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب ، والله لقد أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما

فرجع عمر الى أخته وختنة وكان عندهم خباب بن الارت وصحيفة يقرئهما فيها سورة طه ، فلما سمعوا صوت عمر أختفى خباب وأخذت فاطمة الصحيفة وجعلتها تحت فخذها وكان عمر قد سمع قراءة خباب فقال حين دخل

– ما هذه الهينمة [2] التى سمعت ؟

قالا : ما سمعت شيئا !

قال : بلى والله سمعت انكما تابعتما محمداً على دينه .

---

(١) صهرك (٢) الصوت الخفى

ويطش بسعيد بن زيد . فقامت أخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها [١]

فلما فعل ذلك قالت له أخته :

- نعم لقد أسلمنا وأمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدالك

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما فعل وما صنع بها فارعوى [٢] وقال لأخته :

- أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون أنفا : أنظر ما هذا الذى جاء به محمد

وأجابت أخته : إنا نخشاك عليها

قال لا تخافى ، وحلف لها بألهته ليردنها اليها متى أتم قراءتها وأعطته فاطمة الصحيفة فلما قرأ منها صدراً قال . ما أحسن هذا الكلام واكرمه ، فلما سمع خباب عبارته خرج من مخبئه وقال له

- يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيك ، فإنى سمعته أمس وهو يقول " اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب . فالله الله يا عمر ، فقال له عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى أتيه فأسلم فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا فى نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتو شجه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب

وقام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرأه متوشحاً بالسيف فرجع فرعا يقول : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه قال حمزه بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له . وان كان

(١) جرح رأسها (٢) تراجع عن شدته

جاء يريد شرا قتلناه بسيفه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ، ونهض له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجزة (١) فأخذ بمجمع ردائه ثم جبذه جبذه (٢) شديدة وقال له :

ما جاء بك يابن الخطاب ، فوالله ما اري ان تنتهي حتي ينزل الله بك قارعة

فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله

فكبر رسول الله تكبيره عرف منها أصحابه أن عمر قد أسلم .

وكانت تلك اللحظة الخالدة فى حياة عمر رضى الله عنه والتى حدث فيها التحول التام فى مسار حياته وأصبح من دروع الاسلام وسيوفه المسلولة ، بل انها لحظة الميلاد الحقيقية لتلك الشخصية الفذه وعن ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنهما : لما أسلم عمر رضى الله عنه اتى جبريل عليه السلام النبى فقال له : يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر " أخرجه الدارقطنى

هجرته :

بعد أن أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة أخذ المسلمون يتسللون خارج مكة بحذر حتى لا يباغتهم مشركو قريش ، أما عمر فقد أتجه فى وضح النهار الى أهل قريش وقال لهم :

" من أراد ان تثكله أمه وييتم ولده فليلقنى خلف هذا الوادى "

ولكن أحدا لم يجرؤ على ملاقاه هذا الفارس القوى حتى لا يكون الموت مصيره .

وكان رضى الله عنه بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم يذود عنه ويفتديه ويقاتل أعداء الاسلام

---

(١) موضع شد الاذار من الوسط (٢) جذبه

عمر والقرآن الكريم :

لقد صار عمر رضى الله عنه من أشد الناس تأثراً وخشوعاً بالقرأن ، فقد سمع يوماً رجلا يقرأ :

(والطور وكتاب مسطور فى رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسحور إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع (سورة الطور ١-٨)

فوقع مغشيا عليه من فرط خشيته من الله تعالى

وقد حدث أيضا انه سمع أبا أوفى يقرأ سورة المدثر حتى وصل الى قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير)

فوقع مغشيا عليه .

- وقد نزلت أيات قرأنية عديدة مؤيدة لرأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فقد كان عبد الله بن أبى " هو رأس المنافقين رغم أن أبناءه كانوا من أخلص المسلمين وعندما مات صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم

فقال عمر للرسول صلى الله عليه وسلم :

كيف تصلى على هذا المنافق وهو القائل (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) (المنافقون ٨)

فنزل قوله الله تعالى :

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم فاسقون) (التوبة ٨٤)

كما نزلت أيات الله تعالى مؤيدة لرأيه فى أسرى بدر

فقد وقع عدد كبير من المشركين أسرى فى أيدى المسلمين وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه فى أمر هؤلاء الاسرى ، ورأى عمر أن يتم التنكيل بهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ برأيه بل أخذ برأي ابى بكر الذى اقترح الفدية ، فأنزل الله تعالى

(ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة) (الانفال : ٦٧)

فبكى أبو بكر وقال : " لو نزل عذاب من السماء ما نجا إلا عمر "

- وفى محنة حديث الافك حيث اتهم المنافقون السيدة عائشة رضى الله عنها بالفاحشة - أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فقال له عمر .

يا رسول الله من زوجكها ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : الله

فقال عمر أفترى ان الله دلس عليك ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم

فنزل قول الله تعالى فى سورة النور :

(ولولا اذا سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)

(وعندما خاصم الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته شهرا بعد أن طلبن منه بعض المطالب الدنيوية ، ودخل عليه عمر - وهو والد أم المؤمنين حفصة أحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له :

لو أمرتنى لضربت عنق حفصة - ولا تهتم يا رسول الله عسى ربك ان طلقتهن ان غاضبنك أن يبدلك أزوجا خيرا منهن وأنا وأبو بكر وصالح المؤمنين معك والملائكه بعد ذلك ظهير فأنزل الله أياته المحكمات :

(إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل

وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله ازوجا خيرا منكن) (التحريم : ٤ - ٥)

ويدعو عمر رضى الله عنه ربه قائلا .

اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافياً

فنزلت الاية الكريمة :

(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)

(المائدة : ٩)

كانت تلك أمثلة ابعض الآيات القرآنية التى جاءت مؤيدة لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بشرى بالجنة :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انه جعله وزيره الثانى من أهل الارض ، كما بشره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة فى كثير من المواضع :

فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم اذا طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين الآخرين الا النبيين والمرسلين ياعلى لا تخبرهما .

وعن عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع أبو بكر ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع عمر

رواه الترمذى

وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والأخر عن شماله وهو أخذ بايديهما وقال :

الخليفة العادل :

وتتجلى كل مظاهر العبقرية والرحمة فى شخصية عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة ، لقد ضرب أروع الامثلة فى العدالة والرحمة والتواضع ..

وليس ادل على تواضعه من هذا المشهد ..

فقد وفد الى المدينة المنورة رسول كسرى وراح يسأل عن أمير المؤمنين حتى دل عليه وذهل عندما وجده نائما تحت شجرة يتوسد لبنة فقال

عدلت فأمنت فنمت يا عمر !

وكان أبو بكر حكيما للغاية نافذا البصيرة عندما كتب عهدا بالخلافة الى عمر بن الخطاب بعد ان شعر بدنو أجله ، فقد كان الناس يظنون بعمر القوة والشدة فى الحق ويخشون من ذلك ولكن الصديق رضى الله عنه كان أعلم الناس برحمة عمر وعدله وشدة خشيته لله تعالى ، فبعد أن خرج عمر من عنده رفع يديه الى السماء وقال اللهم إنى لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنةفعملت فيهم ما أنت أعلم به وأجتهدت لهم رأيى فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما ارشدهم .

وعندما جاء بعض المسلمين المتهيبين من شدة عمر وقوته ليراجعوه فى ذلك وسألوه ماذا يقول لربه عندما يلقاه قال أبو بكر :

أقول استخلفت عليهم خيرهم

يالها من كلمة حق ينطق بها الصديق رضى الله عنه وقد بينت الايام صدق قوله ولا نجد فى هذا المقام خيرا من كلمة ابن مسعود رضى الله عنه :

(كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا وامارته رحمة)

وبعد أن رأى المسلمون مبلغ عدله ورحمة وخشيته لله تعالى أحبوه حبا شديدا ،

وكيف لا يفعلون وهو القائل

" مثلى ومثل أمه محمد كمثل الوصى على مال اليتيم "

ويذكر التاريخ قولته الخالدة :

(والله لو تعثرت بغلة بالعراق لأوشك أن يسألنى عنها الله ، لم لم تصلح لها الطريق يا عمر) انها قمة الرحمة والحرص على راحة المسلمين ..

- وهذه قصة تدل على حب الناس لعمر وطاعتهم له بوازع من هذا الحب ..

فقد مر بأمرأة مجزومه وهى تطوف بالبيت فقال لها : يا أمه الله لو قعدت فى بيتك لا تؤذين الناس ..

فقعدت المرأة فى بيتها عملا بنصيحة عمر ، فمر بها رجل بعد وفاة عمر فقال لها ان الذى نهاك قد مات فاخرجى

فقالت المرأة والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتاً !

وننقل بعضا من خطبته التى استهل بها الخلافة وتعد واحدة من أروع الخطب التى ألقاها أحد خلفاء المسلمين :

(واعلموا ان شدتى التى كنتم ترونها ازدادت أضعافا على الظالم والمعتدى ، والاخذ لضعيف المسلمين من قويهم ، انا بعد شدتى تلك واضع خدى على الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف وان كان بينى وبين احد منكم شىء فله أن أمشى معه الى من أحبه منكم فلينظر فيما بينى وبينه فاتقوا الله واعينونى على نفسى بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم .."

ايها الناس .. إن الله عز وجل قد ولانى أمركم ، وأنى أسأله ان يعننى عليه وأن يلهمنى العدل فى قسمكم الذى أمر له ولن يغير الذى وليت من خلفى شيئا ان شاء الله إنما العظمة لله وحده وليس للعباد منها شىء وإنى لمسئول عن أمانتى ومطلع على ما

يحضرنى بنفسى إن شاء الله لا آكله الى أحد "

أمثلة من عدله رحمته :

ما أن يذكر عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى يتبادر الى الاذهان العدل والرحمة - فقد خرج ليلة يتفقد أحوال رعيته وبينما هو يفعل تناهى الى سمعه صوت أمره تبكى وقد جاءها المخاض فسألها عن حالها فقالت :

أنا أمراة غريبة عن هذة الديار وليس عندى شىء

فعاد عمر الى بيته وقال لأمراته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب :

هل لك فى أجر ساقه الله اليك ؟ وأخبرها الخبر قالت نعم .

وحمل عمر على ظهره الدقيق والشحم والسكر فقالت له أم كلثوم :

أحمل عنك يا أمير المؤمنين

قال : بل أحملى على أأنت تحملين عنى ذنوبى يوم القيامة ، وذهبا للمرأة الوالهة التى رزقها الله بمنه وفضله وأصلحا شأنها وإنصرفا .

***

ومن أقواله المأثورة رضى الله عنه :

(إن الناس يزالون مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم)

كما بعث الى امرائه ينصحهم قائلا :

(لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحرموهم فتكفروهم)

وقد حدث أن ضرب ابن عمرو بن العاص وإلى مصر أحد المصريين بالسوط وهو يقول خذها وانا ابن الاكرمين

وأمر عمرو بحبس المصرى خشية أن يشكو الى الخليفة ولكن المصرى نجح فى الهرب

من سجنة وذهب الى عمر فى المدينة يشكو اليه ما اصابه على يدى عمرو وابنه . فأستبقاه عمر وأرسل يستدعى عمراً وابنه اليه

ولما أن جاءا عقد مجلساً للقصاص وأعطى المصرى الدرة وأمره أن يضرب ابن الاكرمين فضرب المصرى محمدا بن عمرو بن العاص فلما فرغ وأراد أن يرد الدرة الى عمر

قال له عمر :

أحلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه

قال عمرو : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت

وقال المصرى : ياأمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى

فقال عمر : إنك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه ثم التفت الى عمرو مغضبا وقال : أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

هكذا كان عمر رضى الله عادلا لا يخشى أحدا ولا يفرق بين الرعية ، فالكل سواسيه لافرق بين حاكم ومحكوم ولا تفرقه بين الناس فى أقامة الحدود وها هو يقيم الحد على أقرب الناس اليه وهو ابنه عبد الرحمن

فقد علم عمر ان ابنه عبد الرحمن قد شرب الخمر أثناء إقامته بمصر وان عمرو بن العاص قد جلده فى ساحة داره وحلق رأسه ، وغضب عمر بن الخطاب أشد الغضب وارسل كتابا الى عمرو يقول فيه :

" من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصى بن العاصى عجبت لك يا ابن العاصى وجرأتك على وخلافك عهدى فما أرانى إلا عازلك تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق

رأسه فى بيتك وقد عرفت ان هذا يخالفنى إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت ان لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب عليه فاذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءه على قتب حتى يعرف سوء ما صنع "

وما أن وصل عبد الرحمن حتى أمر أمير المؤمنين باقامة الحد عليه دون أن يدع له الفرصة ليريح جسده من مشقه السفر

***

وهذه قصة أخرى تبين مدى رحمته وحنانه بالمسلمين وشدة تأثره بما يصيبهم من كروب فى ليلة وبينما كان يتفقد أحوال رعيته سمع بكاء طفل فتوجه نحوه فقال لأمه اتقى الله وأحسنى الى صبيك .

فلما عاد بعد قليل سمع بكاء الطفل ثانية فأتى أمه وكرر قوله إليها

ولكنه عاد فى أخر الليل ليسمع بكاء الطفل فقال لامه

ويحك أم سوء ! مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟

قالت الام يا عبد الله انى اسكته عن الطعام فيأبى ذلك

قال عمر : فلم ؟قالت : لأن عمر لا يفرض الا للمغطوم .

قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهرا

فقال : ويحك لا تعجلين عن الفطام .

ولما صلى الصبح التفت الى الناس وقال لهم والدمع يملأ عينيه : بؤسا لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديه فنادى ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب بذلك الى الامصار ..

وهكذا اضرب عمر أروع الأمثلة على مر التاريخ فى رحمته ورقه قلبه وأهتمامه بالمسلمين كافة لا فرق لديه بين غنى وفقير ولا بين كبير وصغير

وتراه فى عام الرمادة الذى انعدم فيه المطر واسودت الارض حتى صارت كالرماد لقد حرم على نفسه وأهله اللحم والسمن ولم يأكل سوى الخبز والزيت وكان يشرف بنفسه على أعداد الموائد للناس وكتب الى ولاته فى الأقاليم يطلب منهم المعونة حتى اذن الله وانكشفت الغمة .

ملامح مضيئة فى حياته :

كان رضى الله عنه أول من عمل بروح الشريعة الاسلامية وليس بنصها مثال ذلك وقفه إقامه حد السرقة وهو قطع يد السارق فى عام الرمادة حيث عمت المجاعة وكثرت السرقات ، فقد وجد أن إقامة الحدود فى هذه الظروف لن تحقق الفائدة المرجوة منها وهى منع السرقة لأن المجاعة تضطر الناس الي أكل الحرام .

* كان اذا استعمل عاملا كتب له عهدا وأشهد عليه واشترط عليه الا يعيش فى رفاهية ولا يأكل أفضل مما يأكل رعيته وألا يغلق بابه فى وجه أصحاب الحاجات واذا لم يلتزم بكل ذلك استحق العقوبة .

* رأى فتاة تتمايل من فرط الجوع فسأل ، من هذه ؟

فقال ابنه عبد الله : هذه ابنتى

قال : ما بالها ؟

قال : انك تحبس عنا ما فى يدك فيصيبنا ما ترى .

فقال عمر : ياعبد الله بينى وبينكم كتاب الله ، والله ما أعطيتكم الا ما فرض الله لكم . .

أتريدون منى أن أعطيكم ما ليس لكم فأعود خائبا ؟

* كان لا يأخذ من بيت مال المسلمين الا حلتين : حلة للصيف وحلة للشتاء وقوت أهله ، وهو يماثل قوت عامة المسلمين .

*خرج للحج فأنفق سته عشر ديناراً فقال لابنه : لقد اسرفنا !

* سمعه انس رضى الله عنه يحدث نفسه قائلا :

بخ بخ .. والله لتتقين الله يا بن الخطاب أوليعذبنك

* رأه على بن أبى طالب وهو يعدو الى خارج المدينة فقال له :

الى أين يا أمير المؤمنين ؟

قال قد ندَّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه

فقال : لقد أتعبت الخلفاء من بعدك

* وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أشد أمتى فى دين الله عمر "

وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" ان الشيطان يفرق من عمر "

وقال أيضا " أرحم أمتى أبو بكر وأشدهم فى دين الله عمر "

اعمال عظيمة للفاروق عمر :

كان عهده رضى الله عنه حافلا بجلائل الأعمال وعظائم الفتوحات ففيه تم فتح الشام بأكملها وفتح مصر وطرابلس الغرب وبرقة والعراق وفارس حتى بلاد ما وراء النهر.

وقد شهدت الدولة الاسلامية فى عهد الفاروق رضى الله عنه نهضة كبرى فى مجال التنظيم والادارة حيث أقام الدواوين وتماثل الوزارات الان - وأتخذ بيت المال وهو بمثابة وزارة الخزانه ، يتم عن طريقه تحصيل ايرادات الدولة والانفاق على أوجة الحياة

كما كان رضى الله عنه هو أول من أتخذ من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بداية للتاريخ الاسلامى .

- هو أول من سن قيام الليل فى رمضان وتبعه المسلمون حتى يومنا هذا

- هو أول من بنى المدن وكانت تسمى الامصار وأول من سمى بأمير المؤمنين

- كان رضى الله أول من سك النقود فى الاسلام وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل وأول من شق الترع وأقام الجسور

وفاته رضى الله عنه :

وينال عمر بن الخطاب الشرف العظيم ويموت شهيدا كما تمنى من قلبه ودعا ربه فاستجاب له :

" اللهم انى اسألك شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك " فيروى انه قد حج الى بيت الله الحرام قبيل وفاته وبعد أن قضى مناسك الحج دعا ربه قائلا :

" اللهم كبرت سنى ورق عظمى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى ، فأقبضنى اليك غير عاجز ولا ملوم "

ويروى انه عندما عاد الى المدينة خطب فى الناس قائلا :

" أيها الناس انى رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلى رأيت ديكا أحمر نقرنى نقرتين "

وقبيل بضعة أيام من وفاته جاء غلام فارسى يدعى " ابو لولؤة " وكان مجوسيا تم

اسره فى موقعه بهاوند التى انتصر فيها المسلمون على الفرس وقد وقع الغلام فى ملك المغيرة بن شعبة . جاء الغلام يشكو لعمر ان مولاه المغيرة قد فرض عليه درهمين ، فسأله عمر : وما صناعتك

قال الغلام : نجار ، نقاش ، حداد

قال عمر : ما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح لفعلته .

قال : نعم

قال عمر : فاعمل لى رحى

قال الفتى : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم قال وهو ينصـــرف : وسع الناس عدله غيرى !

فقال عمـر : لقد توعدنى العبد أنفا ..

وفى تلك الليلة خرج عمر رضى الله عنه لصلاة الفجر كعادته كل ليلة ، وبينما هو يكبر للصلاة تقدم أبو لؤلؤة اللعين وطعنه عدة طعنات قاتلة بخنجره ثم أسرع بالفرار

وألتفت عمر الى المصلين وقال " أدركوا الكلب فقد قتلنى "

فاندفع المسلمون خلفه يطاردونه فراح يطعنهم الواحد تلو الاخر حتى قتل وأصاب منهم عدة اشخاص حتى ألقى عليه احدهم رداءه وطرحه أرضاً ، ولما شع المجرم باستحالة الهرب طعن نفسه بخنجره.

أما عمر فقد عجز عن مواصلة الصلاة وسقط على الارض ولكنه دعا اليه عبد الرحمن بن عوف وأمره ان يصلى بالناس وهو يقول

" لا نصيب فى الاسلام لتارك الصلاة "

وحمل عمر الى بيته وصلى ثم سأل عن قاتله

فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة

فقال

الحمد لله الذى لم يجعل منيتى الا على يد رجل يدعى الايمان ولم يسجد لله سجدة وقد أوصى رضى الله عنه أن يكون خليفته واحدا من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم :

عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف

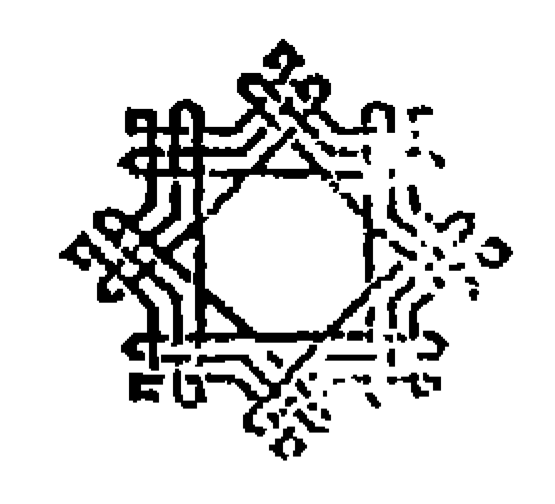
ولم يعين واحدا منهم بالتحديد حتى لا يتحمل عبء الخلافة بعد موته فقد قال لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً .

وقد طلب حضور ابنه عبد الله الشورى لابداء النصح فقط .

وكانت وفاته فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة فى شهر ذى الحجة ، وقد اختلف فى سنه وقت وفاته ويقول البعض انه توفى وهو فى الثالثة والستين من عمره مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه والله أعلم .

وعنه يقول ابن عباس رضى الله عنه :

" كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الإحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وزرع اليقين وفتح البلاد وأمن العباد فأعقب الله اللعنة على من لم ينصفه الى يوم الدين "



الفصل الثالث

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان ثالث المبشرين بالجنة وثالث الخلفاء الراشدين دو النورين وكان يكنى ايضا بأبى عبد الله وأبى عمروولكنه عرف بلقب ذو النورين لانه تزوج ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيه التى توفاها الله فتزوج من بعدها بأختها أم كلثوم وكان أشد الناس حياء ولذا فقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجل تستحى منه الملائكة ويالها من شهادة يشهد بها خير الأنام فى حق عثمان الحيى الكريم الذى فاق الحدود بجوده وكرمه من انفاق فى سبيل الله حتى انه جهز جيشا للمسلمين من ماله الخاص وقد عرف هذا الجيش بجيش العسرة بسبب إعسار المسلمين وعدم وجود أموال لديهم لتجهيزه

وعلى الصفحات التالية نطالع سيرة ذى النورين رضى الله عنه الذى كان من الاوائل فى الاسلام وأحد اعلام المجاهدين والمنفقين أموالهم فى سبيل الله والذى تعرض لمحنة قاسية وبلاء شديد ومات شهيدا بعد أن تألب الناس ضده

.نسبه وصفاته :

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

وأمه : أروى بنت كريز بن ربيعه بن حبيب بن شمس بن عبد مناف القرشية ويجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، وينسب عثمان الى جده أميه وقومه هم الأمويون .

ويصفه معاصروه بأنه كان ربع القد متوسط الطول حسن الوجه ، أقنى ، رقيق البشرة ، وعظيم اللحيه كثير الشعر ، أسمر البشرة .

أما عن صفاته الخلقيه فقد أشتهر بالحياء الشديد ، وتميز بتلك الصفة فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

أرحم أمتى أبو بكر وأشدها فى دين الله عمر وأشدها حياء عثمان " رواه أحمد وابن ماجه والحكم والى جانب حيائه كان شديد الجود والكرم حتى ضرب به المثل فى ذلك وأحبه أهل قريش حبا شديدا حتى قال قائل منهم :

" أحبك الرحمن حب قريش عثمان "

إسلامه وجهاده :

كان رضى الله عنه من الاوائل فى الاسلام ويقال انه كان من الخمسة الاوائل أو السبعة الاوائل فى الاسلام وكان سبقه الدخول فى الدين الحق راجعا الى سلامه فطرته ونقاء روحه ويقال انه قد سمع فى منامه مناديا ينادى النائمين ان يستيقظوا فإن أحمد خرج بمكة .

ولذلك فقد كان مهيأ النفس تماما للدخول فى الاسلام ونيل الشرف العظيم بأن يكون من السابقين الى الاسلام .

وقد تحدث التاريخ عن مواقفه الجليلة وكرمه البالغ وتخفيفه للكثير من الأعباء عن كاهل المسلمين ومن ذلك شراء بئر رومه وأهداؤها للمسلمين .

فقد ندر الماء فى المدينه ولم يجد المسلمون أمامهم الا بئر ماء تسمى (بئر رومة) يملكها يهودى جشع راح يستغل حاجة المسلمين للماء ليحقق أرباحا طائلة ، ورأى عثمان الجواد الكريم ذلك فأبت عليه نفسه الا أن يوفر الماء للمسلمين بأى ثمن فذهب الى اليهودى وراح يساومه على شراء البئر ويرفع الثمن حتى يرضى اليهودي دون جدوى وهداه عقله الى حيلة فى غاية الذكاء حيث عرض على اليهودى ان يبيعه نصف البئر فقط باثنى عشر ألف درهم فوافق اليهودى واتفق مع عثمان على أن يكون حق استغلال البئر يوما لليهودى ويوما لعثمان !

وبالطبع أخذ المسلمون يتدفقون على البئر فى يوم عثمان يأخذون حاجتهم من الماء التى تغطى يومين ، وأصبح اليهودى لا يجد فردا واحدا يشرب منه الماء ، فذهب الى عثمان وعرض عليه ان يبيعه النصف الاخر فاشترای عثمان بثمانيه الاف درهم ووهب البئر للمسلمين .

أما أعظم أعماله فهى تجهيز جيش المسلمين من ماله الخاص

كان عثمان تأجرا واسع الثراء لديه الكثير من الأموال ، وحدث أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جيش الروم يتقدم صوب حدود الحجاز لقتال المسلمين ، ولكن البلاد كانت تعانى من القحط والعسرة ، ونادى الرسول صلى الله عليه وسلم فى المسلمين أن يسارعوا الى التبرع بأموالهم من أجل تجهيز جيش العسرة

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه هو أول من لبى النداء وقام بتجهيز جيش العسرة من ماله الخاص ، وعن ذلك يقول عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء عثمان بن عفان فى جيش العسره بسبعمائه أوقيه من الذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول :

" غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة "

ما أعظم تضحياته وما أشد جوده وكرمه وانفاقه فى سبيل الله !

لقد رضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الله تعالى أن يرضى عنه :

" ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم اللهم أرض عن عثمان فإنى راض عنه "

(رواه الترمذى)

ولا عجب فى بعد ذلك فى شدة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان وقبوله زوجا لابنته رقيه وبعد أن توفيت رقيه حزن عثمان حزنا شديدا ولكن رسول الله صلى

الله عليه وسلم زوجه بأختها أم كلثوم وقال له

" أزوجك أم كلثوم أخت رقيه ولو كن عشراً لزوجتكهن "

واستحق رضى الله عنه لقب ذى النورين " لزواجه من ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

****

وهذه قصة أخرى تدل على مدى انفاقه فى سبيل الله وقد حدث ذلك فى عهد أبى بكر الصديق حينما حل بالناس قحط شديد وراح الناس يشكون للخليفة مدى ما أصابهم من ضر ، فراح ابو بكر رضى الله عنه يوصيهم بالصبر ويدعو بالفرج من عند الله

فلما كان أخر النهار قدمت من الشام قافله تحمل برا وزيتا وزبيبا فأناخت عند باب عثمان واذا هى ألف بعير فلما جعل أحمالها فى داره جاءه التجار فقال لهم :

- ماذا تريدون ؟

قالوا : بعنا من هذا الذى وصل اليك فإنك تعلم حاجة الناس اليه !

قال عثمان : حبا وكرامه كم تربحوننى ؟

قالوا الدرهم درهمين

قال عثمان أعطيت زيادة

قالوا أربعة دراهم

قال عثمان : أعطيت أكثر

قالوا نربحك خمسة

قال أعطيت أكثر

قالوا ما فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا أحد اليك فمن الذى أعطاك أكثر مما أعطينا ؟

قال : إن الله تعالي أعطانى بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة ؟

قالوا : لا

قال : فانى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقه لله على المساكين وفقراء المسلمين

ثم أخذ يفرق بضاعته ، فما بقى من فقراء المسلمين أحد ألا أخذ ما يكفيه وأهله

***

كانت هذه بعضا من فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه ثالث العشرة المبشرين بالجنة ولو أننا تركنا لانفسنا العنان فى الكتابة عنه لما كفتنا عشرات الصفحات

وتروى لنا عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر استأذن يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول مضطجعا وقد أنحسر جلبابه على أحد ساقيه فأذن لأبى بكر فدخل وأجرى مع الرسول حديثا ثم أنصرف .

وبعد قليل جاء عمر فأستاذن فأذن له ومكث مع الرسول لبعض الوقت ثم مضى وتصادف ان جاء عثمان فأستاذن واذا الرسول يتهيأ لمقدمه فيجلس بعد أن كان مضطجعا ويسبل جلبابه فوق ساقه المكشوفه ويقضى عثمان معه بعض الوقت ثم ينصرف

وبعد أن انصرف سألت عائشة النبى صلى الله عليه وسلم قائلة :

" يا رسول الله لم أرك تهيأت لأبى بكر ولا لعمر كما تهيأت لعثمان " ؟

فأجابها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أن عثمان رجل حيى ولو أذنت له وأنا مضجع لاستحيا ان يدخل ولرجع دون ان أقضى له الحاجه التى جاء من أجلها . يا عائشة الا استحي من رجل تستحى منه الملائكه " ؟ رواه أحمد

خلافته رضى الله عنه

رأينا كيف ترك عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر الخلافه شورى بين سته من كبار الصحابه وخيرتهم حتى لا يتحمل تبعة الخلافه بعد موته ، وبعد عدة مشاورات انحصرت الخلافه فى شخصين هما عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، ثم أختيار عثمان لكبر سنة وتضحياته العظيمة وانفاقه فى سبيل الله .

وشهد عهده كثيرا من الفتوحات حيث فتح اذربيجان وأرمينة فى الشرق ودخل أهلهم فى الاسلام كما فتح شمال افريقيا وقبرص وطبرستان وبلاد النوبه ، وأتمام أخضاع فارس وبلاد الترك للحكم الاسلامى

وحينما انتقض أهل الاسكندرية على الحكم الاسلامى أرسل اليهم الخليفة جيشا بقيادة عمرو بن العاص فأخضعهم ، كما أصبح للمسلمين فى عهد عثمان قوة بحرية كبيرة يرهب جانبها ومن أعظم اعماله وأجلها نسخ المصحف وإرسال النسخ الى الأمصار المختلفة ففى عهد أبى بكر الصديق تم جمع القرأن ومراجعه اياته ولكن لم يتم نسخ المصاحف ، ولكن حدث بعد أمتداد مساحة الدولة الاسلامية وكثرة عدد المسلمين ان اختلفت القراءات ، وكان الاطفال يسمعون من أبائهم غير ما يسمعون من معلميهم وجاء حذيفة من اليمامة الى الخليفة فقال له :

" ادرك الناس ياأمير المؤمنين قبل أن يختلفوا فى الكتاب

فأرسل عثمان الى السيدة حفصة أم المؤمنين يطلب النسخة التى لديها ثم أمر كلا من : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها .

وبعد أن تمت مراجعة تلك النسخ أمر عثمان بارسالها الى الامصار حتى لا يتم القراءة ، بغيرها .

الفتنة الكبرى :

اذدادت رقعة الدوله الاسلامية وكثر عدد الخاضعين للحكم الاسلامى ، وكان من الطبيعى ان يزداد عدد الحاقدين على الاسلام والذين يريدون إشعال الفتنه واثارة الثورات لهدم الدولة الاسلامية ، واستغل هؤلاء رقة قلب عثمان وسعه صدره وراح الظالمون يفترون الكذب على عثمان ويدعون انه يحابى أهله بنى أمية ويفضلهم على المسلمين واخذوا ينادون بالثورة عليه ومما أشعل نار الفتنه ان عثمان كان قد بلغ من الكبر عتيا وأصبح فى حاجة الى من يعاونه فى حكم الاقاليم المختلفة ،لذا فقد جعل سعيد بن العاص واليا على الكوفة بدلا من المغيرة بن شعبه وعبد الله بن أبى سرح أخاه من الرضاعة واليا على مصر بدلا من عمرو بن العاص كما جعل ابن عم معاوية بن أبى سفيان واليا على حمص ودمشق وهكذا انتشر اقاربه فى كل مكان وتولوا أهم المناصب وحاول الثائرون ان يتذرعوا بعلى بن أبى طالب ولكن عليا كرم الله وجهه زجرهم عن ذلك ووقف مدافعا عن عثمان

وقد أخطأ عثمان فى تركه الفتنه تنتشر دون ان يبادر الى القضاء عليها قبل أن تستفحل وتنتشر فى كل مكان .

وراح السفهاء يتطاولون على عثمان وقد تهجم عليه أحدهم وهو على المنبر لالقاء خطبه الجمعه مما أحزنه كثيرا وهو الرقيق القلب الذى لم يسىء الى أحد قط ولم يفارقه

حلمه وهدوءه فى اشد الادمات ونجده يقول فى هذه الاثناء " ان الناس قد أسرعوا الى الفتنة وطال عليهم عمرى . أما والله لئن فارقتهم ليتمنون لو أن عمرى طال فيهم كل يوم سنه وذلك مما يرون من الدماء المسفوكة "

وحاصر الأعداء داره من كل جانب حتى أنه لم يجد الطعام أو الشراب ورفض أن يقاتل اعداءه حتى لا يكون أول من أمر يرفع سيف فى وجه المسلمين حتى يقاتل بعضهم بعضا ، لقد كان يفضل الموت على هذه المأساة

ولم يكن أحد يتوقع ان يقدم الثائرون على ايذاء عثمان بن عفان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى احبه حبا شديدا وبشره بالجنه ، كما أن أحد لا ينسى فضله على المسلمين وانفاقه فى سبيل الله وتجهيز جيش العسره .

وفى اليوم السابق لمقتله رأى رسول صلى الله عليه وسلم فى منامـــه يقــول لــه : " أفطر عندنا غدا يا عثمان "

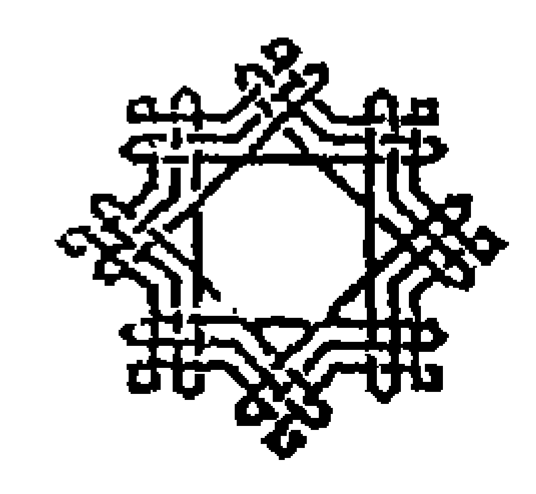
فأصبح عثمان صائما كعادته فى أكثر آيامه وحاول الثائرون اقتحام داره فتصدى لهم فرسان الاسلام الحسن والحسين أبنا على بن ابى طالب ولكن الثائرين نجحوا فى أقتحام الدار ودخلوا على ذى النورين عثمان بن عفان وهو يقرأ القرأن ولم ينهض من مكانه ولم يتحرك لمقاومتهم ، وتلقى ضربات القدر بثبات وفاضت روحه الطاهرة الى بارئها دون أن يؤذى مسلما او يجرد سيفه فى وجه أحد من المسلمين

وقد توفى بعد أن استمر فى الخلافة حوالى اثنتى عشرة سنه إلا قليلا وقد أختلف فى سنه وقت أن لقى ربه فيقول البعض كان فى الثانيه والثمانين ويقول أخرون انه كان فى السادسة والثمانين او الثامنة والثمانين والله اعلم

وكانت وفاته فى شهر ذى الحجة من السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة ونختم هذه الرحلة القصيرة مع ثالث الخلفاء الراشدين بما قاله عنه ابن عباس

كان والله أكرم الحفده . وافضل البررة هجاءا بالاسحار كثير الدموع عند دكر الله نهاضا عند كل مكرمة ، سباقا الى كل مهمة ، حييا أبيا وفيا . صاحب جيش العسرة ، صهرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاعقب الله من يكرهه لعنه اللاعنين "



الفصل الرابع
على بن ابى طالب

علي بن أبي طالب رضى الله عنه

امام المتقين وفارس المسلمين الذى لا يشق له غبار ، انتصر فى كل معاركه وهزم الصناديد والابطال ، حباه الله تعالى من الفضل العظيم ما لم ينله احد سواه ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها* والتى انجبت له سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين .

تربى منذ طفولته المبكرة فى خير بيوت العالمين وهو بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هو أول من أسلم من الصبيان فلم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا ويعده من أقرب الناس اليه ويتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لعلى

" أنت منى وأنا منك "

خاض الكثير من المعارك مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وأظهر فيها من ضروب الفروسية والبطولة ما يذكره التاريخ بالمجد والفخار ، وقد ظهرت شجاعته مبكرا عند ما نام فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة معرضا نفسه للقتل بأيدى مشركي قريش الذين احاطوا ببيت النبى صلى الله عليه وسلم واشتهر رضى الله عنه - بجانب شجاعته الفائقة - بالفصاحة والبلاغة والتمكن من فروع العلم المختلفة ، وقد قيل لابن عباس ابن عم على بن ابى طالب -:

اين علمك من علم ابن عمك ؟

فقال : كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط !

كما اشتهر بشدة التقوى والورع والزهد فى الدنيا

وتعرض رضى الله عنه للعديد من المحن القاسية والعواصف العاتية التى تهد الجبال بعد أن كثرت الفتنه من حوله وأصبح الأعداء يتربصون به فى كل وقت ولكنه وقف صامدا صابرا حتى استشهد بعد أن ضربه احد الخوارج ضربه قاتلة فى راسه بسيف مسموم .

نسبه وصفاته

هو على بن ابى طالب بن عبد المطلب

وأمه : فاطمة بنت اسد بن هاشم القرشية الهاشمية

وقد أسلمت وماتت ودفنت بالمدينه وصلى عليها النبى صلى الله عليه وسلم .

وعلى رضى الله عنه هو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس اليه .

وقد كناه النبى صلى الله عليه وسلم " أبى تراب " لانه نام فى المسجد فسقط رداؤه عن ظهره ومسه التراب فراه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عن ظهره التراب وقال له اجلس يا ابا تراب .

ولكنه اشتهر بابى الحسن نسبة الى ابنه الحسن من زوجته الطاهرة فاطمه الزهراء رضى الله عنها

صفاته : ربع القامة يميل الى القصر أدعج العينين ، حسن الوجه ، أصلع ، كثير شعر اللحية

فى خير بيوت العالمين :

كان ابو طالب كثير العيال قليل المال ولذلك فقد تربى على ابن ابى طالب فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى احاطه بالعناية والرعايه وأحسن تنشئته .

وعندما بلغ العاشرة من عمره دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضى الله عنها وهما يصليان سرا وتساءل الغلام عما يفعلان فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم للدخول فى دين الله الحق وعباده الله الواحد الاحد الذى لا شريك له .

فاستجاب الغلام لدعوة الحق وهداه الله الى الاسلام وكان يذهب مع الرسول صلى الله عليه وسلم للتعبد فى شعاب مكه ورغم ان اباه - ابو طالب - لم يقبل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام و فضل البقاء على دين ابائه الا ان الغلام الشجاع ظل ثابتا على الاسلام مخلصا فى عبادته لله تعالى مواصلا طريقه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفارس المقدام :

كان رضى الله عنه من أشجع وأقوى فرسان المسلمين حتى انه لم يهزم قط فى أى مبارزة خاضها ، وها هو فى غزوة أحد يلتقى مع أحد فرسان المشركين ويدعى " ابو سعده بن ابى طلحة " فى مبارزة حامية حتى تمكن على من توجيه ضربه شديدة الى عدوه جعلته ينطرح ارضا ، وقبل ان يهم بالقضاء على الرجل الملقى على الارض بلا حول ولا قوة انكشف جسد ابى طلحه بعد أن انحسر عنه ثوبه ، وعلى الفور غض على بصره استحياء ورفع سيفه عن الرجل دون ان يقتله وعاد الى صفوف المسلمين ليضرب بذلك أروع الأمثلة فى القوة والشجاعة والعفو عند المقدرة وليثبت حقا انه فارس اصيل يتحلى بالخلق الكريم بجانب قوته الفائقه وبسالته النادرة .

وفى يوم فتح خيبر تخلف على بن ابى طالب عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب رمد اصاب عينيه ولكنه لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم فى اليوم التالى ليجعل الله تعالى الفتح على يديه

فعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يده ، قال عمر : ما أحببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها رجاء ان ادعى لها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاعطاه اياها وقال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، فسار على قليلا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس : قال قاتلهم حتى يشهدوا ألا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى (رواه الشيخان)

وهذه قصه أخرى تدل على بطولته النادرة وقوته الفائقه

فقد حاصر الكفار المدينة فى غزوة الخندق واخذوا يحاولون اقتحام الخندق والوصول الى المسلمين ، وبعد محاولات عديدة تمكن نفر منهم من اقتحام الخندق بقيادة الفارس " عمرو بن ود " الذى صاح فى المسلمين قائلا : هل من مبارز ؟

واستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبارز الرجل ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم خشى عليه ، فأخذ على يلح عليه قائلا : انى لها يا رسول الله !

وبمجرد ان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالمبارزة وقف امام خصمه وقال له انى ادعوك الى الله والى رسول الله والى الاسلام .

قال ابن ود لا حاجة لى فى ذلك .

قال علي : اذن انا ادعوك الى النزال

قال ابن ود : لم يا بن اخى فواللات لا احب ان اقتلك

قال على : انى أحب ان اقتلك

والتحم الرجلان فى مبارزة عنيفه حسمها على بن ابى طالب بعد لحظات قليلة حيث صرع خصمه بسيفه البتار والقاه على الارض غارقا فى دمائه .

وقد تكرر هذا المشهد كثيرا وخرج على بن ابى طالب ظافرا فى كل المعارك التى خاضها ضد أقوى الفرسان

منزلته الرفيعة :

أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب حبا شديدا وأنزله فى نفسه منزله رفيعه لم تكن لاحد سواه ، فقد روى الترمذى عن ابن عباس قال :

" اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة على بن ابى طالب "

عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال .

خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب فى غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان فقال : اما ترضى منى بمنزله هارون من موسى غير أنه لا بنى بعدى ؟ (رواه الشيخان والترمذى)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن "

وعن سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه قال .

لما نزلت (قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم)

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ثم قال

" اللهم هؤلاء أهلي "

خلافته :

ذكرنا في معرض تناولنا لسيرة عثمان بن عفان رضى الله عنه كيف انحصر أمر الخلافة في رجلين هما عثمان وعلى وان الاختيار وقع على عثمان لعدة اسباب ومن بين هذه الاسباب ان الكثيرين كانوا يحسدون على بن ابى طالب ويغيرون منه نظرا لمنزلته الرفيعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ولبطولته وانتصاراته العديدة عى اعداء الاسلام ، كما خشى الناس ان هم اعطوا الخلافة لعلى تظل باقية فى بني هاشم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابد بالاضافة الى ذلك فقد كان بنو أمية يطمعون فى الخلافة منذ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وإن لم يمكنهم المطالبة بذلك بعد مبايعة ابى بكر من بعده ، وتحقق لهم ما ارادوا ابعد أن بويع عثمان بالخلافة ، وكان على رضى الله عنه يرى انه أحق بالخلافة من عثمان ولكنه تنازل عنها لعثمان برضى وسماحة نفس احتراما وتعظيما لمنزلة عثمان .

وبعد مقتل عثمان أسرع عدد كبير من المسلمين ليبايعو على بن ابى طالب وبعد كثير من الاخذ والرد تمت مبايعه على أميرا للمؤمنين ، ولكن بنى أمية لم يبايعوا عليا وأعلنوا رفضهم لعلى بن ابى طالب .

وكان رض الله عنه عادلا فى حكمه زاهدا فى أمر الخلافة لا يعمل لدنياه ، حريصا على قضاء حوائج المسلمين ورفع الظلم عنهم وها هو ينصح عماله فيقول :

" انصفوا الناس من انفسكم واجبروا لحوائجهم فانهم خزان الرعية ولا تحسموا أحد عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس فى الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم "

واخذ يشدد على عماله فى اختيار معاونيهم وألا يكون هذا الاختيار نتيجة لعوامل شخصية بل يجب ان يتم بناء على حسن اسلامهم ونقاء انفسهم وسمعتهم الحسنه واخلاقهم الطيبه وصلاحهم وتقواهم لله تعالى واعراضهم عن الدنيا ومتاعها.

وقد استغل الامام على رضى الله عنه حكمه بأن أصدر عدة اوامر كان لها اثار

خطيرة للغاية ومن تلك الاوامر عزل الولاة الذين استعملهم عثمان بن عفان في كافة الاقطار وتعيين اخرين بدلا منهم !

كما امر باسترداد كل ما اقتطعه عثمان من بيت المال وأعطاه لاقاربه من أموال وأراضي وغير ذلك .

وقد رأى الكثير انه قد تعجل في إصدارهذه الاوامر قبل ان تستقر به الامور وتهدأ الاحوال خاصة وان بني اميه بقيادة معاوية كانوا ينارعونه أمر الخلافة ويرون انهم احق بها .

ولكن عليا رضي الله عنه كان رجلا واضحا زاهدا تقيا شديد الخشية لله تعالى ، وما كان ليؤخر اتخاذه لتلك القرارات لارضاء نفر من الناس معرضا نفسه للوقوع في خطأ أعظم .

وقد تعرض الإمام علي رضي الله عنه لاختبارات قاسية ومحن شديدة خلال فترة خلافتة ويرجع ذلك الى كثرة معارضية والطامعين في الخلافة وكانت أول مواجهه تحدث بين المسلمين هي تلك التي وقعت في عهده وعرفت بموقعة الجمل والتي واجه فيها جيش علي بن ابي طالب جيش المعارضين له وعلى راسه السيدة عائشة ام المومنين رضي الله عنها ويعود الجفاء بين علي وعائشة الى حديث الافك الذي وقع في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أشاع بعض المنافقين ما يمس شرف السيدة عائشة رضي الله عنهاوحزن الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الحزن لذلك وعندما رأه علي بن ابي طالب قال له :

" يا رسول الله النساء غيرها كثير "

وكان رضي الله عنه يقصد بذلك التخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا أعلنت عائشة الحرب على علي وجاهرت بخصومته حتى بعد أن براها الله تعالى بأياته المحكمات .

وعندما علمت عائشة بمقتل عثمان غضبت اشد الغضب واشتد غضبها عندما علمت بمبايعة علي بالخلافة وراحت تطالب بالثأر لعثمان وجمعت حولها الانصار .

والتقى الجيشان عند البصـــرة وكان طلحه والزبير يقاتلان في صفوف جيش

عائشه ، وكان علي رضى الله عنه يميل الى المصالحة وتجنب حدوثه اى مواجهه بين المسلمين وبينما كانت المفاوضات بين الطرفين لحسم الامر سلميا دون قتال انقض رجال علي على خصومهم وهكذا وقع القتال بين الطرفين دون أن يكون علي راغبا فيه .

وتحقق الانتصار لجيش علي نظرا لبراعه رجاله وحسن تنظيمهم بالاضافه الى عدم وجود قائد لجيش عائشة بعدأن فضل الزبير ترك الميدان والابتعاد عن تلك المواجهه الاليمة ، واستسلم الكثيرون من جيش عائشة فأمر عى بحسن معاملتهم ، اما السيدة عائشة رضى الله عنها فقد أعادها علي الي مكة معززة مكرمة بما يليق بها من احترام ، وانتهت تلك الموقعة التى قتل فيها الاف المسلمين

وحينما سئل علي رضى الله عنه عن خصومه فى موقعه الجمل وهل هم مشركون أم منافقون فتفى عنهم هاتين الصفتين وقال انهم اخواننا بغوا علينا .

ما أعظم حلمه وسعه صدره .

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد كان معاويه بن ابى سفيان يقف متربصا بالشام فى انتظار ما سوف تسفرعنه الاحداث وبالطبع كان يتمنى هزيمة علي والاطاحة به ولكنه بعد ان رأى أن عليا قد خرج منتصرا قرر ان ينقض عليه بجيوشه فى هذا الوقت حتى يستغل ما يعتقده ضعفا فى جيش علي نتيجه لموقعة الجمل .

وراح معاوية يدفع الناس الى السخط على علي بن ابى طالب ويلهب مشاعرهم وينصب على المنبر قميص عثمان الملوث بدمائه ويتهم عليا بالتستر على قتلة عثمان .

وحاول علي بكافة الطرق ان يمنع وقوع اي مواجهة اخرى بين المسلمين ولكن دون جدوى فقد رفض معاوية والتقى جيش علي بجيش معاويه فى صفين بالقرب من نهر الفرات واخذت الدوائرتدور على جيش معاوية واصبح جيش علي قاب قوسين او ادنى من تحقيق انتصار ساحق على خصومه لولا ان لجأ معاوية الى الحيلة وامر جنوده برفع المصاحف فوق اسنة الرماح واللجوء الى حكم القرأن ..

وادرك علي انها حيلة لجأ اليها معاوية بدهائه ولكن قواد جيش علي رفضوا الاستمرار فى القتال وقالوا كيف نحارب رجالا قد احتكموا الى كتاب الله ؟

واضطر علي الى الاذعان وقبول التحكيم وتمكن عمرو بن العاص الذى مثل معاوية

من حديعه ابو موسى الاشعرى ممثل على وجعل كثير من رجال على ينقلبون عليه وهكذا تحول النصر الى هزيمه ساحقة وكان لتلك الموقعه أثر كبير فيما وقع بعد دلك من أحداث وما لحقها من تغيرات فى أحوال المسلمين ونحن لم نقصد سرد أحداث تلك الحقبة الهامة فى تاريخ الاسلام فليس هذا مجالها بل أردنا ما تعرض له الامام على رضى اله عنه من محن قاسية وبلاء عظيم وصبره على هذا البلاء وصموده لتلك المحن وسعيه المخلص لحقن دماء المسلمين وتجنب وقوع المواجهه بينهم رغم انه كان يملك مفاتيح النصر والبطش بخصومه عندما تصبح المواجهة قدرا محتوما

***

حكمته وتقواه :

ونقف طويلا أمام هذا البحر الزاخر بالعلم والحكمة تنهل منه ونستزيد به بقدر ما يسعنا المقام . فالحديث لا ينتهى من حكمته

وها هو يجعل أحد النصارى يشهد بأن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

فقد حدث ان وجد الامام على درعه عند رجل نصرانى فأقبل به الى قاضيه شريح يخاصمه وكأنه من عامه الرعية وقال .

انها درعى ولم أبع ولم أهب .

فسأل شريح النصرانى : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟

قال النصرانى : ما الدرع الادرعى وما أمير المؤمنين عندى بكاذب

فالتفت شريح الى على يسأله :

يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟

فضحك على وقال :

أصاب شريح مالى بينة !

فقضى بالدرع للنصرانى فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ينظر اليه .

الا ان النصرانى لم يخط خطوات حتى عاد يقول :

أما انا فاشهد ان هذه أحكام أنبياء .. أمير المؤمنين يدينني الى قاضيه وقاضيه يقضى عليه !

أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين .. اتبعت الجيش وانت منطلق الى صفين فأصبتها من بعيرك الاروق .

فقال : اما اذا أسلمت فهى لك .

(رواه الترمذى والحاكم)

***

وقد كان حكيما بليغا عالما فقيها زاهدا خاشعا متواضعا وقد أتاه رجل من خزاعه فقال :

يا أمير المؤمنين : هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الاسلام ؟

قال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" بنى الاسلام على اربعه أركان : على الصبر واليقين والجهاد والعدل "

وللصبر أربعة شعب :

الشوق ، الشفقة ، والزهادة ، والترقب .

فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات .

ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات .

ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات .

ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات .

ولليقين أربع شعب :

تبصرة الفطنة .

وتأويل الحكمة

ومعرفة العبرة .

واتباع السنه

فمن ابصر الفطنه تأول الحكمة

ومن تأول الحكمة عرف العبرة .

ومن عرف العبرة اتبع السنه

ومن اتبع السنه فكأنما كان فى الأولين

وللجهاد أربع شعب :

الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر

والصدق فى المواطن

وشنأن الفاسقين

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن

ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق

ومن صدق فى المواطن قضى الذى عليه واحرز دينه

ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله ، ومن غضب لله يغضب الله له .

وللعدل أربع شعب :

غوص الفهم

وزهرة العلم

وشرائع الحكمة

وروضه الحلم .

فمن غاص الفهم فسر جمل العلم .

ومن رعى زهرة العلم عرف شرائع الحكم

ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم

ومن ورد روضة الحلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس وهم في راحة)

يا لحكمتة البالغة وبلاغته الرائعة ، وعنه يقول الحافظ ابو نعيم في الحلية :

(باب مدينه العلم والعلوم ، ورأس المخاطبات ومستنبط الاشارات ، رايه المهتدين نور المطيعين وولى المتقين وأمام العادلين وأقدمهم أجابة وايمانا وأقومهم قضية وإيقانا وأعظمهم وأوفرهم علما " على بن ابى طالب " كرم الله وجهه .

قدوة المتقين ، وزينة العارفين ، المنبيء عن حقائق التوحيد ، وصاحب القلب العقول واللسان المسئول ، والاذن الواعى والعهد الوافى ، كان بذات الله عليما ، وعرفان الله فى صدره عظيما)

شهيد الاسلام :

اجتمع ثلاثه من الخوارج بمكة وهم عبد الرحمن بن عمرو والمعروف بأبن ملحم والبرك ابن عبد الله التيمى وعمر بن بكر التميمى واتفقوا على ضرورة الخلاص من على بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص وتكفل ابن ملجم بقتل على والبرك بمعاوية ، وعمر بن بكر بعمرو بن العاص

وتعاهد المتأمرون الثلاثة على تحقيق هدفهم واعدوا سيوفهم وسقوها سما واتفقوا على تنفيذ المؤامرة فى ليلة السابع عشر من رمضان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدا أخبر عليا باستشهاده ، فقد سأله يوما :

من أشقى الأولين .

قال عاقر الناقة .

قال فمن أشقى الاخرين ؟

قال : قاتلك .

***

وفى الليلة الموعودة وبينما كان على رضى الله عنه يوقظ المسلمين لصلاة الفجر

كعادته فى كل ليلة ولم يكن يعلم بما ينتظره .

كان ابن ملحم يتربص به وعندما حانت الفرصة خرج من مخبئه وضربه بالسيف فشج راسه وسال دمه على لحيته وحمله المسلمون الى بيته وقبضوا على القاتل المجرم ابن ملجم وجاءوا به الى بيت على رضى الله عنه فسأله :

أى عدو الله ألم أحسن اليك ؟

قال بلى .

قال : فما حملك على هذا ؟

قال : شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه

فقال على لا إراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله

ثم قال يوصى ابنه الحسن والحسين :

يا بنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا ، تقولون قتل أمير المؤمنين الا لا تقتلن بى الا قاتلى ، وانظر واذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربه ولا تمثلوا به فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلة ولوبالكلب العقور "

وعندما سأله جندب بن عبد الله إن مت نبايع الحسن ؟

فقال : لا أمركم ولا أنهاكم : أنتم ابصر .

***

وكما كان رضى الله عنه حكيما بليغا تقيا فى حياته فقد جاءت وصيتة حافلة بحكمه ونصائحه الجليلة لأهله وللمسلمين كافة حيث قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به على بن آبى طالب أنه يشهد ان لااله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

أوصيك يا حسن وجميع ولدى من بلغه كتابى بتقوى الله ربكم ولا تموتن الا وانتم مسلمون (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

فإنى سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول :

" أن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام "

انظروا الى ذوى أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب

الله الله فى الايتام فلا يضيعن بحضرتكم .

والله الله فى جيرانكم فإنهم وصية بينكم ، وما زال يوصى بهم حتى ظننا انه سيورثهم.

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم .

والله الله فى شهر رمضان فإن صيامه جنه من النار

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم

والله الله فى الزكاه فانها تطفىء غضب الرب .

والله الله فى ذمه نبيكم فلا يظلمن بين ظهرانيكم .

والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بهم .

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم .

والله الله فيما ملكت أيمانكم فإن أخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أوصيكم بالضعيفين : نسائكم وما ملكت أيمانكم)

والصلاة الصلاة لا تخافن فى الله لومة لاتم وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعوا فلا يستجاب لكم وعليكم بالتواصل وأياكم والتدابر والتقاطع والتفرق .

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

حفظكم الله من أهل بيت وحفظ عليكم نبيكم أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله)

وظل رضى الله عنه ينطق بالشهادتين وقول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره شرا يره)

وتوفى رضى الله عنه فى شهر رمضان لسنه أربعين من الهجره الشريفة

***

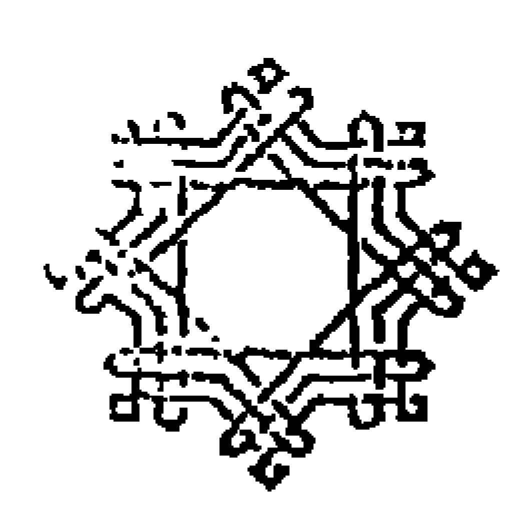
علم الهدى .

ونختم رحلتنا المباركة مع رابع الخلفاء الراشدين وأمام المتقين على بن أبى طالب رضى الله عنه بحديث ابن عباس رضى عنه الذى يصف فيه عليا . قال :

(كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحمل الحجى ، وبحر الندى ، وطود

النهى ، للورى داعيا الى المحجة العظمى ، مستمسكا بالعروة الوثقى خير من امن وأتقى ، وأبر من جاهد وسعى وأكثر من شهد النجوى ، وأشجع من وقف مع النبى المصطفى . وهو أبو السبطين وهل يقارنه بشر ؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال ، وفى الحرب ختال ، لم ترعينى مثله ولن ترى

فعلى من انتقصه لعنه الله والعباد الى يوم الدين .



الفصل الخامس
طلحة بن عبيد الله

" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "

كان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من هولاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد بشره رسول الله عليه وسلم بالشهادة قبل فترة طويلة من استشهاده

شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون جميعا بالشجاعه يوم أحد حيث وقف بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم يحتضنه بيسراه ويذود عنه بيمناه فقتل عشرات المشركين وأصيب بأكثر من سبعين طعنه فى جسده وبترت أصبعه .

ولم يقف الامر عند بسالته وجهاده المخلص في ميدان القتال بل تعداه الى الجهاد بماله فى سبيل الله ، ولذا فقد أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الالقاب منها " طلحة االفياض ، وطلحة الخير ، وطلحة الجود "

نسبه وصفاته :

هو طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة

وأمه " الصعبة بنت عبد الله بن ربيعه الحضرمى أخت العلاءابن الحضرمى

وقد أسلمت

ويجتمع نسبه طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بنت كعب ومع أبى بكر الصديق فى كعب بن سعد .

وكان أسمر اللون ، ربعه ، يميل الى القصر كثير الشعر ، حسن الوجه منبسط الأسارير .

إسلامه :

كان رضى الله عنه أحد الثمانيه الذين حظوا بشرف السبق الى الاسلام . وكان طلحة رجلا نقي السريرة طيب الفطرة أصيل المعدن ولهذا سارع الى الدخول فى الاسلام بمجرد أن علم يبعثه النبى صلى الله عليه وسلم واسلام أبى بكر .

ويروى طلحة قصة اسلامه فيقول

حضرت سوق بصرى فاذا انا براهب فى صومعه يقول : سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ فقال طلحة : نعم أنا فقال :

هل ظهر أحمد بعد ؟

فقلت : ومن أحمد ؟

قال الراهب : ابن عبد الله بن عبد المطلب وهذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو أخر الانبياء ، ومخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل ..

قال طلحة : فوقع في قلبى ما قال فخرجت سريعا حتى قربت مكة فقلت :

هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ وقد تبعه ابن ابى قحافه (١)

يقول طلحة : فحدثتنى نفسى محمد وأبو بكر ، والله لا يجتمع الاثنان على ضلالة أبدا ، لقد بلغ محمد الاربعين من عمره وما جربنا عليه كذبا وانه ما كان يترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

فخرجت حتى دخلت على أبى بكر فقلت أتبعت هذا الرجل ؟

---

(١) اى ابو بكر الصديق رضى الله عنه

فقال نعم فانطلق اليه فأدخل عليه فأتبعه فإنه يدعو الى الحق

فأخبره طلحه بما قال الراهب فخرج ابو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم طلحة

***

وبعد أن خرج أبو بكر وطلحة لقيهما نوفل بن خويلد " الذى يلقب بأسد قريش ،

وكان جبارا غليظ القلب وأمر أتباعه فربطوا ابا بكر وطلحة فى حبل واحد لتعذيبهما ولذلك فقد سمى الرجلين " بالقرينان "

وما كان عذاب قريش ليفل من عزم البطل المؤمن طلحة بن عبد الله الذى ظل بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم يستهدى بهديه ويستضىء بنوره ويجاهد لا علاء رايه الاسلام عاليه خفاقه ويقضى على جحافل الشرك والطغيان .

وقد هاجر طلحة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له الشرف العظيم بمرافقه القافلة التى حملت ابنتى الرسول صلى الله عليه وسلم أم كلثوم وفاطمة وأم المؤمنين "سودة بنت زمعة " وكان الرسول قد اسند الى زيد بن حارثه واسامة بن زيد حراسة القافلة

يوم طلحة :

كان يوم أحد هو يوم طلحة بحق ..

فقد اعدت قريش عدتها وجمعت عتادها وجاءت للانتقام من المسلمين والثأر لهزيمتها النكراء في يوم بدر ولكن المسلمين ثبتوا لهم وفرقوا شملهم وقتلوا الكثير ين منهم وعندما رأى المسلمون ذلك وضعوا عنهم أسلحتهم بعد أن بلغ منهم النصب مبلغه وترك الرماة مواقعهم ليجمعوا الغنائم..

وفجأة ينقض المشركون على المسلمين بعد ان أعادوا تنيظم صفوفهم ونجحوا فى مباغته المسلمين وقتل عدد كبير منهم ..

وعلى الفور كان طلحة بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى انزلق فى حفره واندفع اليه عشرات المشركين يبغون النيل منه ، ولكن أنى لهم ان يبلغوا غايتهم فى وجود الفارس البطل طلحة بن عبيد الله الذى ضرب فى تلك الموقعة أعظم الامثلة فى الشجاعة والفداء ؟

لقد حمل طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسراه وضمه الى صدره وأخذ يقاتل المشركين بسيفه الذى أمسكه بيمينه وقتل به العشرات من المشركين ، كان يقاتل بضراوة وكأنه جيش وحده .

وبعد ان انتهت المعركة كان جسد طلحة قد أصيب ببضع وسبعين طعنة وقطعت إصبعه ، ورغم ذلك فقد حمل رسول الله صلى عليه وسلم وصعد به الى صخرة عالية وجعل يقبل جسده الشريف ويقول له

بأبى انت وأمى يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم :

إنك طلحة الخير "

ثم قال على ملأمن اصحابه " أوجب طلحة " اى استحق الجنة ووجبت له "

وتروى لنا عائشة رضى الله عنها وصف ابيها ابى بكر الصديق رضى الله عنه لهذا اليوم فتقول : (كان ابو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول : ذلك كله كان يوم طلحة : كنت أول من جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى الرسول ولأبى عبيدة بن الجراح : دونكم أخاكم ..

ونظرنا وإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية واذا أصبعه مقطوعة .. فأصلحنا من شأنه)

وروى الترمذى عن على بن أبى طالب قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

« طلحة والزبير جاراى فى الجنة »

طلحة الفياض :

عرف طلحة بجوده وانفاقه فى سبيل الله – بجانب شجاعته وبسالته – ، ولذلك فقد أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلحة الفياض »

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى غزوة « ذى قرد » على ماء مالح يقال له : « بيسان » فغير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه وقال : هو « نعمان » وهو طيب .

فلما سمع طلحة ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب على الفور واشتراه وتصدق به على المسلمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنت ياطلحة إلا فياض »

كما أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد (ويقال فى غزوة بدر) « طلحة الخير » كما لقيه فى غزوة حنين بـ « طلحة الجُود » وذلك لسعة كرمة وكثرة عطائه وانفاق ماله الكثير لتوفير الماء والطعام للمسلمين كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه بأسماء : الصبيح ، المليح ، الفصيح ..

ياله من رجل كريم عظيم الشأن جليل القدر .

وقيل عنه أنه كان ينفق المال على المسلمين بغير حساب ، يبر أهله وأقاربه ويعول منهم الكثيرين ويقول عنه جابر بن عبد الله :

(ما رأيت أحداً أعطى لجزيل ماله من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله)

ويروى ان زوجته دخلت عليه يوماً فوجدته مهموماً فسألته عما به فقال :

المال الذى عندى قد كثر حتى أهمنى وأكربنى

فقالت : ما عليك .. اقسمه .

فقام ودعا الناس وأخذ بقسمه عليهم حتى ما بقى منه درهم !

وعنه يقول السائب بن زيد :

صحبت طلحه بن عبيد الله فى السفر والحضر فما وجدت أحداً أعم سخاء على المسلمين بالدرهم والثوب والطعام من طلحة .

وفاته رضى الله عنه :

فى حجة الوداع ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين خطبة مؤثرة جعلت الدمع يجرى فى عيون المسلمين ومنهم طلحة الذي أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم يحتضنه وهو يبكى فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

« من أراد أن ينظر الى شهيد يمشى على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » (رواه البغوى)

وكان طلحة قد انضم هو والزبير الى جيش عائشة فى موقعة الجمل ، وعندما أبصر على بن أبى طالب رضى الله عنه بطلحة والزبير ضمن صفوف خصومه حزن كثيراً ، ونادى على طلحة ثم قال له :

(ياطلحة ، أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها ؟)

وقال للزبير : (يا زبير : نشدتك الله ، أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكان كذا فقال له : يا زبير ألا تحب علياً ؟

فقلت : ألا أحب ابن خالى وابن عمى ومن هو على دينى ؟

فقال لك : يا زبير ، أما والله لتقاتله وأنت له ظالم)

قال الزبير : نعم أذكر الآن ، وكنت قد نسيته ، والله لا أقاتلك ثم قال مخاطباً طلحة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه ، وأنت أول من بايعنى ثم نكثت وقد قال الله عز وجل :

« فمن نكث فإنما ينكث على نفسه »

فتراجع طلحة ، ولكن أصيب بسهم قضى عليه (يقال ان الذى أطلق عليه هذا السهم هو مروان بن الحكم)

وتوفى رضى الله عنه عن عمر يناهز السبعين (أو يزيد) وكان ذلك فى سنه ست وثلاثين من الهجرة .

رحم الله طلحة بن عبيد الله وأنزله منزلاً مباركاً .

الفصل السادس
الزبير بن العوام

الزبير بن العوام ..

بطل من أبطال الاسلام الذين خلد التاريخ ذكرهم ، لم يتخلف عن أى غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحمل جسده آثار عشرات الطعنات والضربات والتى كانت له كالأوسمه والنياشين .. قال عنه المؤرخون أنه صاحب أول سيف شهر فى الإسلام كان يعد جيشاً بمفرده وليس أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الزبير بن العوام أنه رجل بألف رجل

أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم حباً شديداً وقال عنه :

« لكل نبى حوارى وحوارى الزبير بن العوام »

كما كان للزبير شأن عظيم فى معركة اليرموك التى انتصر فيها المسلمون على الروم ،وأبلى فيها الزبير بلاءً حسناً .

وكان رضى الله عنه رفيقاً لطلحة بن عبيد الله فما ذكر اسم أحدهما إلا ذكر الآخر معه .

نسبه وصفاته :

هو : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب .

يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب .

وأمه : صفيه بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلمت وهاجرت .

صفاته : كان متوسط الطول ليس بالطويل ولا بالقصير ، أسمر اللون ، خفيف اللحية ، كثير الشعر .

وكان منذ صغره شجاعاً يجيد ركوب الخيل والمبارزة ، كما كان يتحلى بالأخلاق الكريمة ويحسن معاملة الناس ويكثر من التصدق على الفقراء والمحتاجين

ومن مآثره فى الجاهلية انه لم يسجد لصنم قط .

وقد عمل الزبير بن العوام بالتجارة وحقق أرباحاً كبيرة وصار من أغنياء المسلمين ، وكان كثير الانفاق فى سبيل الله فبارك الله له فى تجارته .

إسلامه وهجرته :

كان الزبير بن العوام من أوائل المسلمين ، ويقال أنه كان من السبعة الأوائل فى الاسلام ، فما أن سمع بخبر بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وبأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد أسلم حتى أسرع الى أبى بكر ليعرف منه حقيقة هذا الأمر .

فأوضح له أبو بكر الاسلام وحببه الى قلبه ، فذهب مع الزبير الى رسول الله صلى الله عليه واسلم بين يديه .

ومنذ هذا اليوم أصبح الزبير من أبطال الاسلام وفرسانهم المغاويرالذين ساهموا بدور كبير فى نصرة الدين الحق وإعلاء راية التوحيد .

وعندما علم عمه نوفل بأسلامه غضب أشد الغضب وعذبه عذاباً شديداً حتى يرجع عن الإسلام ولكن الزبير لم يزدد إلا إيماناً بالله وتمسكاً بدينه الحق .

وبعد أن أسلم بعدة أيام سمع إحدى الاشاعات التى أطلقها المشركون بأن محمداً قد قُتل فشهر سيفه وانطلق نحو مكة ليقاتل المشركين ، ولكنه التقى بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق وأخبره عما سمعه من المشركين ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وخلع رداءه وألبسه إياه .وعندما أشتد اضطهاد قريش للمسلمين اذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الاولى الى الحبشة وكان الزبير ضمن اولئك المهاجرين ، ثم

عاد الى مكة حتى اذن الله تعالى لرسوله بالهجرة الى المدينة وكان الزبير فى طليعة المهاجرين الذين صبروا وتحملوا أشد البلاء .

وتزوج الزبير رضى الله عنه من أسماء بنت ابى بكر والتى عرفت بـ « ذات النطاقين » وكانت إحدى المجاهدات العظيمات فى تاريخ الاسلام ، ورزقهم الله بأول مولود فى الاسلام بعد الهجرة وهو « عبد الله بن الزبير » الذى كان من أبطال الاسلام أيضاً .

وكان ميلاد « عبد الله » بشرى للمسلمين جميعاً ، فقد أشاع اليهود أنهم قد وضعوا سحراً للمسلمين يمنعهم من إنجاب الذكور ، وجاء ميلاد عبد الله ليبطل زعمهم ويرد كيدهم الى نحورهم ، وقد حمل الزبير ابنه وذهب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته السيدة عائشة أم المؤمنين وشقيقه زوجته أسماء ، فباركه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له بالخير .

البطل المغوار :

ويظهر الزبير بن العوام البطولة والشجاعة فى أول معركة يخوضها المسلمون ضد المشركين وهى غزوة بدر حيث كان واحداً من المسلمين الذين بلغ عدددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بطلاً بينما كان عدد المشركين يناهز الألف ، واستبسل المسلمون فى القتال ، وأبلى الزبير بلاءً حسناً ، وكان له موقف عظيم فى تلك الموقعة حيث التقى وجهاً لوجه مع عمه نوفل بن خويلد الذى فقد صوابه عندما رأى الزبير يقاتل فى صفوف المسلمين ،فهجم عليه يبغى قتله ولكن الزبير كان مقاتلاً بارعاً شديد الحرص فرماه بحربته رمية قاتلة فى صدره فمات على الفور ..

وبعد أن فرغ الزبير من عمه واصل القتال بضراوة ضد المشركين الذين جعلوا على رأس جيشهم أحد فرسانهم المشاهير لارهاب المسلمين وهو " عبيدة بن سعيد بن العاص" الذى كان مدججا بالسلاح مرتديا درعه ليحميه من الطعنات القاتلة ، وهجم عبيدة على الزبير بسيفه ، وكان من الصعب على الزبير ان يهزم هذا الرجل دون استعمال الحيلة لأنه يرتدى درعا حديديا يقى جسده كما غطى وجهه ورأسه بغطاء حديد فلم يظهر منه سوى عينيه ، وبسرعه البرق قذف الزبير عدوه بحربته فاخترقت الحربة عين المشرك ومات على الفور وفى غزوة أحد أضاف الزبير الى سجل انتصاراته الحافلة انتصارا عظيما فقد كان على رأس جيش المشركين فارس عملاق شديد البأس بارع فى القتال بالسيف يرهبه الجميع وكان يدعى (طلحة بن أبى طلحة العبدرى)

وقف طلحة فى مقدمه جيشه متباهيا بقوته متحديا المسلمين وراح يطلب فارسا شجاعا من المسلمين ليقاتله ..

وبعد صمت قصير خرج الزبير من صفوف المسلمين وهو يصيح بملء فيه الله اكبر الله اكبر ونشب بين الرجلين قتال ضار بالسيوف استطاع الزبير ان يحسمه لصالحه بضربه هائله من سيفه سددها الى خصمه فقتله على الفور ..

وعندما انقلب الامر ودارت الدوائر على المسلمين كان الزبير من الابطال المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طلحة وعدد أخر من فرسان المسلمين .

وبعد انتهاء المعركة عاد جيش المشركين الى مكة ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمته ان يرسل فرقة من فرسان المسلمين لتتعقب جيش المشركين حتى لا يظنوا ان المسلمين قد انهزموا ويفكروا فى مهاجمتهم فى المدينة .

وعلى رأس سبعين رجلا كان أبو بكر الصديق والزبير بن العوام يطاردون جيش الكفار الذى اسرع افراده الى مكة خوفا من تعقب المسلمين لهم .

وكان الزبير بن العوام يمارس نشاطه التجارى ويرسل قوافله الى الشام للتجارة وتعود محملة بالبضائع التى يبيعها فى الجزيرة العربية وازدادت ثروته رضى الله عنه وازداد سخاؤه على المسلمين وانفاقه فى سبيل الله

بطولته يوم اليرموك

وما ادراك ما يوم اليرموك ؟ انه أول انتصار يحققه المسلمون على إحدى القوتين العظميين فى العالم خلال تلك الفترة وهما الفرس والروم

وقد التقى جيش المسلمين بقيادة القائد العظيم خالد بن الوليد بجيش الروم فى موقعة اليرموك فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة

وكان فى طليعة جيش المسلمين البطل المغوار الزبير بن العوام وراح جيش الروم يقاتل بضراوة ، فهم اكثر عتادا وعددا بالاضافه الى خبرتهم الطويلة بالقتال وثقتهم بأنفسهم وبدأ الخوف يتسلل الى قلوب المسلمين ...

ولكن الزبير برز من بين الصفوف وانطلق بجواده كالسهم المارق مخترقا صفوف الاعداء شاهرا سيفه وحربته ، وراح يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال فقتل عددا كبيرا من فرسان الروم ثم عاد الى أصحابه مما أثار الحمية فى قلوبهم فحملوا علي الروم حملة واحدة وأعملوا فيهم القتل حتى حقق المسلمون انتصارا ساحقا وغنموا الكثير من الغنائم ثم زحفوا بعد ذلك ليحتلوا مدينه دمشق . ولم تكن معركة اليرموك هى خاتمة الصراع بين المسلمين والروم فقد كانت هناك معارك أخرى فى مصر التى ذهب عمرو بن العاص لفتحها على رأس أربعة الاف جندى ، وكان الروم يسيطرون على مصر وقتئذ.

خاض عمرو عدة معارك ضد الروم ولكنه ايقن أن الجيش الذى معه لن يكفى لهزيمة الروم فأرسل الى عمر بن الخطاب يطلب منه المدد على وجه السرعة

فأمده عمر بأربعه الاف جندى عليهم اربعة من القواد كما بعث الى عمرو يقول له لقد أمددتك بأربعه الاف عليهم أربعة من كبار الصحابة الواحد منهم بالف رجل .

وكان هؤلاء الاربعة هم الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، والمقداد بن الأسود ، ومسلمة بن مخلد

وفى مصر بضرب الزبير اروع الامثلة فى البسالة والشجاعة بعد أن نجح فى تسلق حصن بابليون المنيع ذى الاسوار العالية هو مجموعة من أبطال المسلمين وفاجئواالروم

داخل الحصن وأعملوا فيهم القتل وسرعان ما اقتحم جيش المسلمين الحصن واستسلم الروم للمسلمين وتوالت الانتصارات بعد ذلك حتى تم طرد الروم من مصر .

***

لقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة مواضع

فعن جابر رضى الله عنه قال : سمعته ندب (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم " لكل نبى حوارى (٢) وحوارى الزبير " (رواه مسلم)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اسكن حراء فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد "

وعليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر ، وعمر وعثمان ، وعلى ، وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص رضى الله عنهم

(رواه مسلم)

(١) ندب الناس اى دعاهم الى الجهاد (٢) حوارى - صاحب ونصير

وعنه يقول حسان بن ثابت شاعر الرسول .

أقام على عهد النبى وهديه	حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	بوالى ولى الحق والحق أعدل
هوالفارس المشهور والبطل الذى	يصول اذا ما كان يوم محجل
له من رسول الله قربى قريبة	ومن نصره الاسلام مجد مؤثل
فكم كربه ذب الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطى ويجزل

***

وفاته رضى الله عنه :

ذكرنا فيما سبق كيف انضم الزبير هو وطلحه الى جيش عائشه فى مواجهته جيش على بن ابى طالب ، وكيف ذكره على رضى الله عنه بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم له وأمره بطاعه على ، فأعلن الزبير ندمه وقال لعلى :

والله لا أقاتلك ابدا .

ثم انطلق بفرسه بعيدا عن ميدان المعركة وفى الطريق قتله اعرابى يدعى " عمرو بن جرموز " وذهب الي على بن أبى طالب ليبشره بقتل الزبير ، ولكن عليا رضى الله عنه حزن أشد الحزن وأمسك بسيف الزبير الذى جاء به القاتل ليؤكد انه قتل الزبير وقال .

" ان هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تأذنوا له برؤيتى وبشروه بالنار "

وكانت وفاة الزبير فى سنه ست وثلاثين من الهجرة .

رحم الله الزبير بن العوام وانزله منزلا طيبا مباركا

الفصل السابع
عبد الرحمن بن عوف

ارتفعت راية الاسلام عالية خفاقه وانتشر الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها بفضل الله تعالى ورسوله وأبطال المسلمين الذين ضحوا بارواحهم وانفقوا أموالهم فى سبيل الله

ومن هولاء الابطال الذين اشتهروا بالبذل والعطاء فى سبيل الله عبد الرحمن بن عوف الذي عرف ب " تاجر الرحمن " والذى ضرب المثل في الانفاق فى سبيل الله عملا بقوله تعالى :

" إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم " (١)

ويقدر ما أوتى عبد الرحمن بن عوف من مال وثروة طائلة ابقدر ما كان صدوقا أمينا متصدقا محبا للانفاق على المسلمين وتفريغ كروبهم وقضاء حوائجهم وتجهيز جيوشهم

لقد ضرب عبد الرحمن بن عوف أروع الامثلة فى الانفاق على الفقراء والمساكين بالمدينه يوم أن وزع عليهم حمولة قافلته العظيمة التى بلغت سبعمائه راحلة محملة بالخيرات..

ويكفيه شرفا ان خير الانام صلى الله عليه وسلم قد صلى خلفه فى بعض الاحيان

نسبه وصفاته :

هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة

يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة .

أمه : الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث وهى ابنة عم أبيه

ويقال ان اسمه قبل الاسلام كان عبد الحرب أو عبد عمرو وقيل أيضا عبد الكعبة

---

(١) التغابن / الاية (١٧)

فأسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " عبد الرحمن وفى ذلك شرف عظيم لعبد الرحمن وكان يكنى ب " ابو محمد "

أما عن صفاته :

فقد كان طويل القامة مليح الوجه أبيض اللون بحمره ، ورقيق البشرة وكان يعرج بأحد ساقيه نتيجه لجرح اصابه يوم أحد .

كما عرف عنه رجاحة العقل وصواب الرأى والكرم الشديد والصدق والامانة فى المعاملة .

اسلامه وجهاده :

اسلم عبد الرحمن بن عوف على يدي ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان أحد الثمانية السابقين الى الاسلام ، كما كان من أصحاب الهجرتين حيث هاجر الى الحبشة ثم هاجر الى المدينه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

وفى المدينة كان لعبد الرحمن بن عوف شأن عظيم فى الانفاق على فقراء المسلمين وتجهيز الجيوش من ماله الخاص حيث كان تاجرا شديد الثراء بارك الله له فى تجارته ورزقه بغير حساب ، ورغم كثرة أمواله الا انه لم يفتن بها بل جعلها سبيله للتقرب الى الله تعالى

" من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له (الحديد / ١١)

واشتهر بالصدق والامانه فى معاملاته كتاجر وكان فى ذلك ممتثلا بقول الرسو ل صلى الله عليه وسلم

(التاجر الصدوق مع الانبياء والصديقين والشهداء)

وها هو رسول الله صلى عليه وسلم يبشرة بالجنة ويهديه الطريق حيث قال له

(يا بن عوف انك من الاغنياء ، ولن تدخل الجنة إلا زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك) (رواه الحاكم)

وينفق عبد الرحمن فى سبيل اله بغير حساب وينافس عثمان بن عفان فى الانفاق وفى تجهيز جيوش المسلمين ويضرب عبد الرحمن أروع الامثلة فى البذل والعطاء عندما جاءت قافلة عظيمة محملة بالتجارة القادمة من الشام وراح أهل المدينه يتعجبون ويتساءلون عن صاحب هذه القافلة الهائلة !

وعلموا انها قافلة تحمل تجارة عبد الرحمن بن عوف ..

وتساءلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن تلك الضجة التى تحدث فى المدينة فقيل لها انه قافلة تحمل تجارة عبد الرحمن بن عوف فقالت أما أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنه حبوا "

وبلغت مقالة عائشة عبد الرحمن فذهب اليها قبل أن تضع القافلة أحمالها وقال لها لقد ذكرتنى بحديث لم انسه ثم قال :

(انى أشهدك ان هذه القافلة وأحمالها وما حولها وأقتابها واحلاسها فى سبيل الله عز وجل)

وتم توزيع كل حمولة القافلة والتى بلغت سبعمائه راحلة - على فقراء المسلمين والمساكين والذين لا يجدون ما ينفقون"

كما شارك عبد الرحمن بن عوف فى قتال المشركين وها هو يقاتل ببسالة فى غزوة أحد ويصاب بأكثر من عشرين جرحا منها جرح شديد فى أحدى ساقيه ترك بها عرجا

وهناك الكثير من الروايات عن كثرة إنفاق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ومن ذلك انه كان يمتلك ثمانيه ألاف درهم فجعل نصفهم لنفسه وعياله ، وقدم أربعة

الاف لله ورسوله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم .

(بارك الله لك فيما أمسكت ، وفيما أعطيت)

وما أعظمها من دعوة مباركة من خير خلق الله ومصطفاه فقد بارك الله لعبد الرحمن وأفاض عليه الرزق بغير حساب .

وقد نال عبد الرحمن بن عوف الشرف العظيم بأن صلى خلفه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حدث ان جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقد صلى عبد الرحمن بن عوف بالناس فصلى خلفه وأتم ما فاته وقال :

(ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته)

هل هناك أعظم من هذه الشهادة فى حق عبد الرحمن ؟ لقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح وصلى خلفه ، فهل هناك من تكريم أفضل من هذا ؟

ورغم ثرائه الواسع الا انه اراد الاخرة وسعى لها سعيها ، فلم يجعل هدفه فى الحياة هو جمع المال وتنميته ، بل جعله وسيله للتقرب الى الله تعالى ، وهكذا نجح عبد الرحمن بن عوف فى تجنب تلك الفتنة المدمرة المهلكة وهى فتنة المال التى أهلكت الكثيرين .

جلس عبد الرحمن بن عوف يوما لتناول الطعام فى بيته مع نفر من أصحابه وعندما وضع أمامه اللحم بكى ، فسأله أصحابه عما به ، فقال :

" لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ما أرانا أخرنا لما هو خير لنا) ..

ويتكرر هذا المشهد عندما جيء له بطعام الافطار وهو صائم ، وما أن وقعت عيناه على الطعام حتى أخذ يبكى ويقول :

استشهد مصعب بن عمير وهو خير منى ، فكفن فى بردة إن غطت راسه بدت رجلاه وان غطت رجليه بدا رأسه .

واستشهد حمزة وهو خير منى فلم يوجد ما يكفن به الا بردة

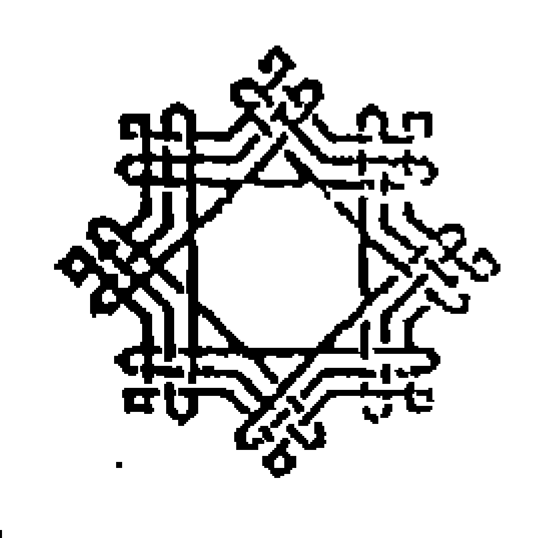
وكان رضى الله عنه يخشى ان يكون الله تعالى قد عجل له الحسنات فى الدنيا ويخشى من عذاب يوم القيامة رغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة .

وعندما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل من الباقين من أهل بدر بأربعمائه درهم بما فيهم عثمان وعلى

وفاته :

وتوفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى السنه الحادية والثلاثين من الهجرة على أرجح الروايات وذلك فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى صلى الله عليه ودفن فى البقيع .

رحم الله عبد الرحمن عوف التاجر الصدوق الذى أنفق أمواله سرا وعلانيه ابتغاء وجه الله الكريم .



الفصل الثامن

سعد بن ابى وقاص

مع بطل من أبطال الاسلام المعدودين

وأحد السابقين الى الاسلام فهو ثالث الرجال اسلاما

وقائد ملحمة الفارسية التى حقق فيها المسلمون انتصارهم الخالد على الفرس وأخر من توفى من المهاجرين

مع سعد بن ابى وقاص

اول من رمى سهما فى الاسلام ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

(اللهم سدد رميته وأجب دعوته)

وقد تزلت فى سعد أيات من القرأن الكريم تؤيد سعدا عندما رفض طاعة أمه والرجوع عن دين الحق .

ويشره النبى صلى الله عليه وسلم بالجنه فى مواضع عديدة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فدخل سعد بن أبى وقاص .

نسبه وصفاته :

هو سعد بن مالك أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة .

وأمه حمنه بنت أى سفيان بن أميه بن عبد شمس

وكان يكنى " أبو اسحق "

كان رجلا قصيرا جعد الشعر غليظ البنية قوى الجسم وكثير الشعر فى جسده عرف بالشهامة والكرم وحسن الخلق .

سبقه الى الاسلام :

كان سعد بن أبى وقاص من السابقين الى الاسلام ويقال انه كان ثالث الرجال اسلاما وقد أسلم على يدى ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

وقد مر سعد باختبار عظيم فى بداية اسلامه :-

فقد كان شديد الحب لامه التى ظلت على شركها ولم تستجب لداعى الايمان ورغم ذلك فقد ظل بارا بها عطوفا عليها ولكن الام لم ترض بذلك ، كانت تريد سعدا أن يترك دين الاسلام ويعود كما كان على دين ابائه واجداده ..

ولكن هيهات ان يتراجع سعد عن دين الاسلام بعد أن استقر الايمان فى قلبه وهداه الله الى الطريق الحق ولم تؤثر فيه توسلات امه وعند ذلك لجأت الام الى التهديد حيث امتنعت عن الاكل والشرب حتى يرتد سعد عن الاسلام ..

ورغم حب سعد الجارف لامه الا انه خيب رجاءها وعجز عن تلبيه مطلبها وقال لها كلمته المإثورة :

(والله يا أماه ، لو كان لى ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى لهذا فإن شئت فكلى وأن شئت فلا تأكلى)

وهكذا يئست الأم من سعد وأكلت وشربت

وأنزل الله تعالى قوله :

(ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وأن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) (العنكبوت /٨)

وهكذا نزلت ايات الله تعالى مؤيدة لمواقف الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص

كما انزل الله تعالى :

(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى) (لقمان ١٤-١٥)

***

أول من رمى بسهم فى الاسلام .

يعد سعد بن أبي وقاص أعظم المجاهدين فى الاسلام وقائدا بارعا قاد المسلمين الى تحقيق عدة انتصارات خالدة أشهرها الانتصار على الفرس فى موقعة القادسية .

لقد كان سعد من ابرز الفرسان المسلمين وأشجعهم وكما حاز الزبير بن العوام "رضى الله عنه الشرف فى أن يكون أول من سل سيفا فى الاسلام فقد حاز سعد بن أبى وقاص بشرف اطلاق اول سهم فى الاسلام وكان يفخر بذلك ويقول :

(والله إنى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله) .

ولذلك فقد دعاله الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

(اللهم سدد رميته وأجب دعوته)

يالها من دعوة حق لنبى لم ينطق الا بالحق يدعو صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص الفارس الشجاع والمقاتل البارع بسداد رميته لتصيب أعداء الله كما يدعو له بأن يستجيب الله تعالى لدعوته فما ظنك بعد هذا سعد الارجل صالح يدعو بالخير والصلاح .

وخاض سعد رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصعب مراحل انتشار دعوة الاسلام وهى المرحلة الأولى التى اشتد فيها اذى الكفار للمسلمين وفرضوا حصارا شديدا حولهم حتى لم يجد المسلمون ما يقتاتون به سوى أوراق الاشجار !

وفى ذلك يقول سعد رضى الله عنه :

(لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الاوراق الشجر حتى يضع أحدنا كما تضع الشاه)

وهاجر سعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مضحيا بكل شىء فى سبيل الله ورسوله

ويروى أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(يا سعد أنت ناصر الدين حيث كنت)

ويبشرة النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يطلع عليكم الان رجل من أهل الجنة فطلع سعد بن ابى وقاص حتى اذا كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع سعد .

بطل القادسية :

ويشاء الله تعالى ان يكون سعد بن ابى وقاص قائدا للمسلمين فى واحدة من أهم المعارك فى تاريخ الاسلام وهى معركة القادسية التى حقق فيها المسلمون انتصارا خالدا على الفرس غيروا به وجه التاريخ .

كان سعد قائدا لجيش المسلمين الذى بلغ عدد أبطاله ثلاثين ألفا بينما كان جيش الاعداء يزيد تعداده عن مائه الف فارس ومقاتل كامل العتاد

الا ان جند الاسلام كانوا يملكون سلاحا ماضيا فتاكا لا سبيل للاعداء الحصول عليه وهو سلاح الايمان ! وعرض سعد الاسلام على قائد الفرس الذى رفض الدعوة وكانت المواجهة رهيبة بين المسلمين والفرس الذين كانوا إحدى القوتين العظميين فى ذلك

العصر وأمر سعد المسلمين بقراءة سورة الجهاد ، الانفال وهدأت نفوسهم ثم ألقى فيهم خطبة رائعة استهلها بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم . ولقد كتبنا فى الزبور ان الارض يرثها عبادى الصالحون)

وأمر جنوده أن يلزموا مواقعهم حتى يصلوا الظهر وبعد الصلاة أخذ يكبر عدة تكبيرات حتى يستعد الجنود ثم ينقضوا على عدوهم وهم يقولون لا حول ولا قوة الا بالله .

وانطلق فرسان المسلمين يحصدون اعداءهم وينقضون عليهم كالاسود الكاسرة ويقتلون رستم قائد الفرس ويشتتون شمل جنوده ويلحقون بهم هزيمة منكرة .

ويتحقق الانتصار العظيم بفضل الله تعالى وبفضل فرسان المسلمين الابطال على رأسهم قائدهم البارع الذى أحسن قيادة المعركة وتوجيه الجنود وإعداد الخطة الحربية السليمة .

كما حقق سعد بن أبى وقاص انتصارا عظيما فى موقعة المدائن التى وقعت بعد القادسية بحوالى عامين . .

فقد أعاد الفرس تنظيم صفوفهم وتقوية جيشهم للثأر من المسلمين ولكن المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص اخذوا يطاردون أعداءهم عبر نهر دجلة وأخذ المسلمون يطاردونهم حتى دخلوا عاصمتهم (المدائن) واتخذوا من أيوان كسرى مسجدا .

موقفه من الفتنة :

عندما وقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وقف سعد بن أبى وقاص موقف الحياد التام فلم ينحز لاى من الطرفين وعندما قيل له الا تقاتل فانك من أهل الشورى وانت احق بهذا الامر من غيرك فقال سعد قولته

الشهيره

(لا أقاتل حتى تأتونى بسيف يقول هذا مسلم وهذا كافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد)

وكان شديد الحزن على تلك المحنة التى أصابت المسلمين وراح ضحيتها عثمان بن عفان رضى الله عنه وما تبع ذلك من مواجهة دامية بين جيش على بن أبى طالب وجيش معاوية بن أبى سفيان .

وفاته

توفى رضى الله عنه فى السنه الرابعة والخمسين من الهجرة وكان قد بلغ من الكبر عتيا (يختلف الرواة فى سنه فيقول البعض انه يتجاوز السبعين ويقول أخرون انه قد تجاوز الثمانين والله اعلم)وتم دفنه فى البقيع وأوصى بأن يكفن فى جبه من الصوف كان يرتديها يوم بدر وقد أدخرها لهذا اليوم

وكان رضى الله عنه هو أخر من توفى من العشرة المبشرين بالجنة .

رحم اله سعد بن أبى وقاص بطل الاسلام وأكرم مثواه .

الفصل التاسع

سعيد بن زيد

والان مع تاسع العشرة المبشرين بالجنة

سعيد بن زيد رضى الله عنه

الرجل الزاهد العابد التقى الورع كان من السابقين الى الاسلام وعاش حياة حافلة بالجهاد فى سبيل الله

وكان سعيد بن زيد من الرجال النادرين فى الجاهلية الذين وحدوا الله ، فقد كان يدين بدين ابراهيم ويدعو الناس اليه وينبذ عباده الاصنام ونال سعيد بن زيد شرفا عظيما حيث شرح الله تعالى صدر عمر بن الخطاب للاسلام فى بيته ، كما كان المسلمون يجتمعون فى بيته سرا لعباده الله تعالى .

وشهد جميع الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدا غزوة بدر كان فى مهمة ارسله اليها ر سول الله صلى الله عليه وسلم .

نسبه وصفاته :

هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن ثقيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى .

يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى .

وأمه : فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعز بن حيان .

وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب

صفاته كان فارع الطول أسمر البشرة كثير الشعر

عرف عنه الزهد والورع وهدوء الطبع ونقاء السريرة

وكانت كنيته (أبو الأعور).

من أوائل المجاهدين :

كان زيد بن عمرو أبو سعيد يعد من الرجال القلائل فى الجاهلية الذين وحدوا الله واتبعوا دين ابراهيم عليه السلام فكان يعد شاذا وسط قومه الذين يعبدون الاصنام ويسجدون لها ويتخذونها أربابا من دون الله وراح يدعوهم الى عبادة الله الواحد الاحد وأعلن فيهم انه ينتظر نبيا من اسماعيل يهدى الناس ولكنه مات قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يحول دون وأد البنات فيأخذهن ويتعهدهن بالرعاية

وهكذا نشأ سعيد بن زيد مثل ابيه موحدا ملىء القلب بالايمان وما كاد يعلم يبعثه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سارع اليه يعلن اسلامه ليكون من السابقين الى الاسلام هو وزوجته فاطمة بنت الخطاب شقيقه عمر بن الخطاب أحد رجالات قريش الذين يرهبهم الناس ويخشونهم وكان بيت سعد بن زيد يعد ملتقى المسلمين الذين يخفون اسلامهم ، ويجدون فيه الامان والمأوى .

كان سعيد بن زيد رضى الله عنه شديد الاخلاص لله تعالى وهب نفسه لنصرة الاسلام واعلاء رايته .

وفى هذا البيت الكريم أشرق نور الاسلام فى قلب عمر بن الخطاب الذى كان ينوى البطش بأخته وزوجها بعد أن علم بإسلامهما.

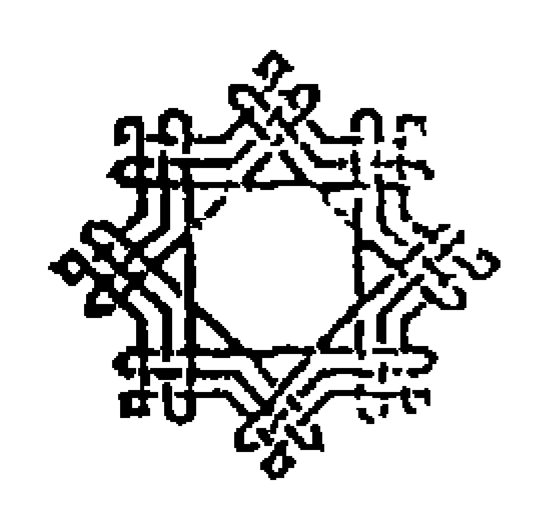
وقد شارك سعيد بن زيد رضى الله عنه فى جميع الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم عدا غزوة بدر حيث ارسله رسول الله عليه الصلاة والسلام فى مهمة لاستطلاع أحوال قريش فى طريق الشام ويأتيه بخبرها وكان برفقه سعيد فى تلك المهمة طلحة بن عبيد الله وبعد أن عاد الفارسان كانت المعركة قد انتهت بانتصار المسلمين والحاق الهزيمة بجنود الشرك ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب لهما اسهمهما كمن شارك فى المعركة تماما

وقد فضل سعيد بن زيد الجهاد فى سبيل الله على المناصب الدينويه التى عرضت عليه كثيرا وشارك فى العديد من الفتوحات مع الخلفاء الراشدين وحصل على الكثير من الغنائم ولكنه كان ينفقها فى سبيل الله ويوزعها على الفقراء والمحتاجين

وفاته

بعد أن تخطى سعيد بن زيد السبعين من عمره أعتزل الحياة وظل مقيما بقرب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أسلم الروح فى سنه خمسين من الهجرة ودفن بالمدينة

رحمه الله وطيب ثراه وأنزله منزلا مباركا



الفصل العاشر
أبو عبيدة بن الجراح

ونصل الى نهاية رحلتنا المباركة مع العشرة المبشرين بالجنة وهم خيرة الصحابة وأحبهم الى قلب رسول الله صلي الله عليه وسلم

مع ابو عبيدة بن الجراح

· بطل الاسلام وفارسه المغوار والمجاهد المخلص والقائد البارع صاحب الانتصارات الخالدة

اشتهر بشدة حبه لرسول الله عليه وسلم فأحبه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عنه :

(ان لكل امة امينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة ابن الجراح)

ولذلك عرف ابو عبيدة بالامين وقد اختاره المصطفى صلى الله عليه وسلم دون سواه ليعلم اهل نجران باليمن أحكام دينهم .

كان رجلا شديد الزهد والتواضع رغم كل ما حققه من انتصارات عظيمة ولذلك فقد كان قريبا من قلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى انه طلب يوما من أصحابه ان يتمنوا فقال أحدهم .

اتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءه ذهبا أنفق فى سبيل الله واتصدق .

وقال أخر :

أتمنى لو انها مملوءة لؤلؤا وزبرجدا وجواهرا انفقه فى سبيل الله وأتصدق

فقال عمر

اتمنى لوان هذه الدار مملوة رجالا مثل ابى عبيدة بن الجراح

ياله من شرف عظيم أن تكون امنيه امير المؤمنين عمر بن الخطاب هى ان يكثر الرجال المخلصون من أمثال أمين الامة أبو عبيدة بن الجراح .

نسبه وصفاته :

هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن جنه بن الحارث بن فهر بن مالك

يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى فهر بن مالك وبعد أبو عبيدة هو أبعد العشرة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمه أميمة ابنه غتم بنت جابر بن عبد العزى بن عامرة وقد أسلمت .

وكان رضى الله عنه طويل القامة نحيفا خفيف اللحية ، أهتم

كما كان فارسا شجاعا وقويا حسن الخلق شديد الزهد والتواضع تقيا ورعا

بلاء شديد

مثل معظم المؤمنين الصادقين تعرض أبو عبيدة لاختبار شديد وبلاء عظيم ..

فقد سارع أبو عبيدة الى الاسلام بعد أن دعاه اليه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكان من المسلمين المخلصين المجاهدين حيث هاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم عاد الى مكة وهاجر خلف رسول الله عليه وسلم الى المدينة

وقيل أن ينتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنظيم المسلمين بالمدينة جاءته الأخبار بأن جيش المشركين يتأهب للانقضاض على المسلمين فهب ابطال المسلمين للدفاع عن دينهم الحق فى أول مواجهة لهم مع جيش المشركين والتى على نتيجتها سيتقرر مصير الاسلام والمسلمين ولذلك فقد وضع المسلمون نصب عينهم هدفا ساميا وهو تحقيق النصر على الاعداء مهما كانت التضحيات .

وبدأت المواجهة الحاسمة وكان القدر يخبىء لابى عبيدة اختبارا شديدا فقد وجد نفسه وجها لوجه أمام ابيه الذى يقاتل فى صفوف المشركين !

وياله من موقف عظيم وبلاء شديد !

وراح الاب يحاول قتل ابنه الذى طغى حب الله ورسوله فى قلبه على كل حب سواهما ولم يتردد أبو عبيدة المؤمن الصادق المخلص فى قتل ابيه الكافر المشرك .

فأنزل الله تعالى تلك الايات !

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم او اخوانهم آو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان)(المجادلة الاية ٢٢)

وفى غزوة أحد كان ابو عبيدة بن الجراح واحدا من أبطال المسلمين وفرسانهم الذين دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفوا حوله يصدون عنه هجمات المشركين وينال وساما خالدا ظل اثره فى وجهه

فقد دخلت فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتان من المعدن واسرع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتزاع الحلقتين ولكن أبا عبيدة كان أسرع الجميع وأولهم وصولا الى الرسول وانتزع الحلقتين بأسنانه لتسقط منه سنتان ويصبح أهتما .

وعن أبو عبيدة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح) (رواه الترمذى)

***

أمين الامة :

ومن أعظم ما يروى عن هذا الصحابى الجليل ان وفدا من مسلمى نجران جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه ان يرسل معهم من يعلمهم أحكام دينهم فقال لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم

(لابعثن معكم غدا رجلا أمينا حق أمين حق أمين .. حق أمين قالها ثلاثا (رواه ابن ماجة)

وهكذا ميزه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره من كبار الصحابه واختص بهذا الشرف العظيم ودعاه بامين الامة

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ان لكل امة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح)

وها هو عمر بن الخطاب يقول عنه وهو فى فراش المرض

(لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت فان سئلت عنه قلت استخلفت أمين الامة وأمين رسول الله)

وكان ابو عبيدة قد توفى قبل عمر بن الخطاب .

براعته الحربيه وتواضعه :

شهد ابو عبيدة المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابلى فيها بلاء حسنا ، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واصل ابو عبيدة جهاده المخلص لنصرة الاسلام فكان من قواد جيوش ابى بكر الصديق ومن بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنهما الذى يعتبره سيفا من سيوف الله وعلما من اعلام الجهاد .

وجعله ابو بكر الصديق اميرا على جيوش المسلمين بالشام وحقق عده انتصارات على الروم ثم صدرت اليه الأوامرمن الخليفة بأن يمتثل لاوامر خالد بن الوليد الذى صار قائدا على جيوش المسلمين فى الشام ونجد أبا عبيدة يتنازل عن القيادة لخالد بن الوليد بسماحة ونفس راضيه لابداخلها اى شعور بالحقد والضيق

فهو يعلم ان لخالد خبرة ودرايه بالقتال ليست له وهو فى النهاية لا يسعى لينل الشرف فى الدنيا والحصول على المناصب لانه كان شديد الزهد فى الدنيا شديد الورع لا يبغى الا مرضاة الله تعالى واعلاء كلمة الحق والتمكن لدينه فى الارض .

وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة أرسل الى ابو عبيدة رسالة يسند اليه فيها أمر قيادة جيوش المسلمين بدلا من خالد بن الوليد .

تسلم أبو عبيدة الرسالة فى ذات الوقت الذى كان خالد يتأهب لقياده الجيوش لخوض المعركة الفاصله مع الروم ورأى أبو عبيدة أن يخفى الرسالة عن خالد ولا يحدثه بشأنها فى هذه الظروف الدقيقة .

وبعد أن حقق المسلمون بقيادة خالد بن الوليد الانتصار الكبير على جيوش الروم .تقدم أبو عبيدة الى خالد وأطلعه على رسالة أمير المؤمنين فقال خالد بدهشة

رحمك الله ياأبا عبيدة ما منعك ان تخبرنى حين جاءك الكتاب ؟

فقال ابو عبيدة كلماته الخالدة :

" انى كرهت أن اكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا نريد ولا للدنيا نعمل كلنا فى الله أخوة "

هكذا كان ابو عبيدة أمينا متواضعا غايه التواضع زاهدا فى المناصب ، وعند ما جاءه امر أمير المؤمنين بتولى الامارة لم يزدد الاتواضعا وزهدا بل وكان من المتعذر على الناس ان يميزوه وسط جنوده وقد شهد له الخليفة الزاهد العادل عمر بن الخطاب بالتواضع فعندما قدم عمر لزيارة الشام تلقاه الناس

فقال :

أين أخى ؟

فقيل له من ؟

قال ابو عبيدة .

قالوا يأتيك الان فلما اتاه نزل فاعتنقه (١) ثم دخل عليه بيته فلم يرفى بيته الا سيفه وترسه ورحله .

ويقول له عمر :

الا اتخذت ما اتخذ اصحابك

قال ابو عبيدة

يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقيل .

وماذا بعد أن شهد له بالزهد والتواضع عمر بن الخطاب ؟

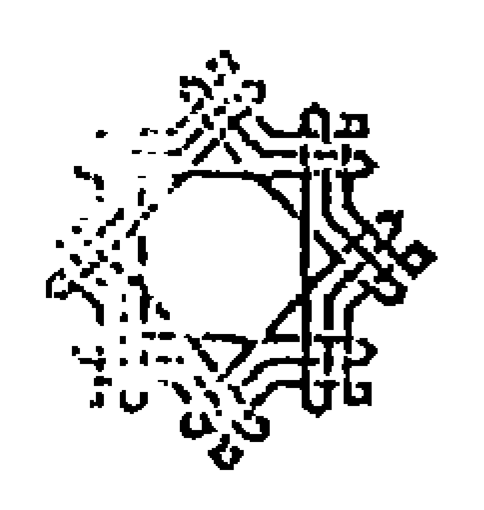
***

وفاته :

توفى رضى الله عنه بالشام فوق الارض التى طهرها من دنس الكافرين ، وكان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وحزن عمر بن الخطاب كثيرا لوفاه قائده المظفر ورجله الامين ، سيف الاسلام وفارسه المغوار

رحم الله أبا عبيدة بن الجراح أمين الامة رحمه واسعه وأكرم مثواه



(١) عانقه

فهرس



الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

المكتب العربي للنشر والتوزيع
مكتبة معروف إخوان
اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١